

الجواهر الكلامية

في العقيدة الإسلامية

للشيخ طاهر الجزائري

شرح وتحقيق الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز



«الأخلاق» الإنسان في أحسن تقويم ..

عالم الكتب



بيروت - المزرعة بشاية الايمان - الطابق الاول - ص.ب. ٨٧٢٣
تلفون : ٣٠٦١٦٦ - ٣١٥١٤٢ - ٣١٣٨٥٩ - بريقياً : نابعلبكي - تلكنس : ٢٣٣٩٠



الجواهرُ الكلامية
في
العقيدة الإسلامية
للشيخ طاهر الجزائري

شرح وتحقيق
الشيخ عبد العزيز عزالدين السيروان

عالم الكتب



مُتَمِّدَةٌ

الحمد لله العزيز العليم، الرحمن الرحيم، العفو الكريم، القائل:
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَيَّ رُسُومِهِ
وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ الَّذِي
أَجَابَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ يسأله عن الإيمان بقوله: « أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ
وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ » فأجابه أمين
السماء: صَدَقْتَ .

أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد صلى
الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة
ضلالة، وكل ضلالة في النار.

فهذا الكتاب الصغير بحجمه نسبياً، عظيم الفائدة، بالغ الأهمية،
ضروري لكل مسلم ومسلمة، لأنه يبين أساس الشريعة الإسلامية ألا وهو
العقيدة، التي إن صحت صح العمل، وإن فسدت ضاع العمل وأحبط.

والكتاب نفيس في طريقة عرضه، وفريد في أسلوبه ونهجه.

استهواني منذ سنوات كثيرة، فقرأته عشرات المرات، أحياناً لنفسي، وأحياناً مدرّساً لما فيه أو شارحاً لبعض فقراته ولكني في كل مرة أضطرُّ إلى استحضار دلائل موضوعاته وشواهداها، وما يؤيدها من حجج وبراهين حتى تشكّل الكتاب في ذهني بصورة شبه مصغرة عما أقدمه اليوم.

ومما رغبني في هذا الكتاب أيضاً أنه يعتقد عقيدة سلفنا الصالح رضوان الله عليهم دون زيادة أو تحريف أو تشويه، بعبارة مختصرة وكلمات موجزة، تروي غلة المستعجل، وتؤسس للمتعلم المتمهل أولى لَبَنَاتِ العلم.

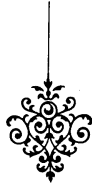
ولكني أجد نفسي ملزماً أن أبين بعض المفاهيم في مقدمة شرحي وتحقيقي للكتاب لألقي المزيد من الضوء، ولأوضح أكثر وأكثر عقيدة وآراء جمع أولئك الذين ندين لهم بالفضل والعرفان لجهودهم وعلومهم وتفانيهم في إيصال الفكر الإسلامي علماً وعملاً إلينا جيلاً بعد جيل سواء أكانت آراؤهم توافق ما ارتأيت به عند بعضهم أم تخالفه طالما أنهم ضمن الخط العقيدي الصحيح مما قال به المشهود لهم بالعلم والتحقيق من سلف أو خلف، وطالما أنني ما زلت في أولى درجات العلوم لا أصف نفسي بأكثر من تلميذ يتطلع إلى المزيد المزيد، من التعلم والتلقي والحفظ والبحث والتحقيق.

لذلك عرضت آراء الجميع مع أدلتهم دون إفراط أو تفريط راجياً الله عز وجل أن يُلهم علماءنا العمل بما تقتضيه الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾.

ولا بد مرة ثانية من الوقوف بأدب واحترام أمام علماء أمتنا سواء أشاركتناهم في الرأي أم خالفناهم فيه، فَلِكُلِّيْهُمَا الأجر والثواب إن شاء الله، ويحضرني الحديث الشريف الجامع «انما الأعمال بالنيات» ولا شك عندي أن الكلام الأول وهو مذهب السلف هو الكلام الأصح، والكلام الآخر هو

الذي لا أستطيع الأخذ به ، مع تقديري لقائله ومعتقديه . والله أعلم .
اللهم اجعلنا من عبادك الذين يبلغون رسالاتك ويخشونك ولا
يخشون أحداً سواك . وكفى بالله حسيباً .

الشيخ عبد العزيز عزم الدين السيروان



مؤلف الكتاب

أسمه ونسبه ومولده:

هو طاهر بن صالح (أو محمد صالح) ابن أحمد بن موهوب السُّمُوني الجزائري هاجر والده الشيخ صالح من الجزائر إلى دمشق سنة ١٢٦٣ هـ حيث تولى قضاء المالكية، ثم الدمشقي ولد في دمشق في ربيع الثاني سنة ١٢٦٨ هـ: ١٨٥٢ م. وسماه شيخ والده (الطاهر)، باحث من أكابر العلماء بالدين واللغة والأدب كان شغوفاً باقتناء المخطوطات وجمعها والبحث عنها، شارك في إنشاء دار الكتب الظاهرية في دمشق، وجمع فيها ما تفرق في خزائن العامة كما ساعد على إنشاء المكتبة الخالدية في القدس.

رحلاته:

- ١ - في عام ١٣٢٥ هـ: ١٩١٨ م انتقل إلى مصر وسكن القاهرة.
- ٢ - في عام ١٣٣٨ هـ: ١٩٢٠ م عاد إلى دمشق ليكون عضواً في المجمع العلمي العربي وسمي حينها مديراً لدار الكتب الظاهرية.

علومه:

دعا له والده وذكر دعاءه في حاشية المجموع الفقهي بقوله «طهره الله من رجس دنياه، وبارك في عمره، وَرَزَقَهُ الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ بِهِ» وقد استجاب الله دعاء الأب فكان عالماً بالدين واللغة والأدب، كما كان يحسن أكثر

اللغات الشرقية كالعبرية والسريانية والحشبية والزواوية والتركية والفارسية .

مؤلفاته :

- ١ - التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن : مطبوع .
- ٢ - شرح خطب ابن نباتة : مطبوع في مصر (من دون تاريخ) .
- ٣ - تفسير القرآن في أربع مجلدات : مخطوط .
- ٤ - الإلمام ، في السيرة النبوية الشريفة : مخطوط .
- ٥ - التذكرة الظاهرية ، مجموعة كبيرة من موضوعات مختلفة : مخطوط .
- ٦ - الكتاب الذي بين أيدينا .
- ٧ - بديع التلخيص ، في علم البديع : مطبوع ، له شرح - طبع دمشق ١٢٩٦ وأيضاً ١٢٩٩ بمطبعة مصطفى واصف .
- ٨ - تسهيل المجاز إلى فن المعنى والألغاز : مطبوع ، دمشق ١٣٠٣ هـ في ١٢٨ ص .
- ٩ - تهديد العروض إلى العروض : مطبوع ، دمشق ١٣٠٤ هـ في ٥٦ ص .
- ١٠ - التقريب إلى أصول التعريب : مطبوع ، المطبعة السلفية ١٣٣٧ في ١٣٥ ص و ٢٠ ص للفهارس .
- ١١ - توجيه النظر إلى علم الأثر : مطبوع ، في مصطلح الحديث ، طبع في مصر ١٣٢٠ في ٢٠ ص .
- ١٢ - مد الراحة في المساحة : مطبوع في دمشق ١٣١٠ في ٢٨ ص .
- ١٣ - الفوائد الجسام في معرفة خواص الأجسام (في الطبيعيات) : مطبوع في دمشق : مطبعة المعارف ١٣٠٠ في ١٥٤ ص .
- ١٤ - الحساب (في الحساب) : مطبوع في دمشق (من دون تاريخ) في ٤٦ ص .
- ١٥ - تدريب اللسان على تجريد البيان .

- ١٦ - التمرين على البيان والتبيين (ضمن مراقبي علم الأدب) المطبعة الأهلية في بيروت ١٣٢٥ في ٨٨ ص.
- ١٧ - جدول الحروف العربية القديمة والحديثة (طبع حجر من دون تاريخ).
- ١٨ - حقائق الأفكار في رقائق الأشعار، مطبوع، في دمشق ١٢٩٩ هـ (طبع حجر).
- ١٩ - الحكم المنشورة مطبوع في مصر (من دون تاريخ).
- ٢٠ - دائرة في معرفة الأوقات والأيام، مطبوع، بدمشق (على حجر من دون تاريخ).
- ٢١ - رسائل في علم الخط - مطبوع في مصر (من دون تاريخ).
- ٢٢ - شرح خطبة الكافي (في أصول اللغة ونشأتها واشتقاقها، مطبوع في مصر (دون تاريخ).
- ٢٣ - عمدة المُعرب وعدة المعرب (قصيدة في الألفاظ النحويّة) طبع دمشق (من دون تاريخ) في ٢٤ ص.
- ٢٤ - اتمام الأنس في عروض الفرس (في العروض والقوافي).
- ٢٥ - إرشاد الألبا إلى طريق تعليم ألف با: مطبوع (ضمن مراقبي علم الأدب) المطبعة الأهلية في بيروت ١٣٢١ في ١٤٤ ص.
- ٢٦ - منية الأذكياء في قصص الأنبياء، مترجم عن التركية طبع في دمشق ١٢٩٩ في ٢٣٩ ص.
- ٢٧ - ميزان الأفكار شرح معيار الأشعار (في العروض والقوافي) مطبوع في لكهنؤ ١٣٠٠ في ٢٢٢ ص.
- ٢٨ - رسائل ابن المقفع.
- ٢٩ - مختصر أمنية الألمي.
- كما أن له في الخزانة الظاهرية بدمشق ٢٨ دفترأ بخطه منها ما هو

تراجم، ومذكرات، وفوائد تاريخية، وأسماء مخطوطات مما رآه، أو قرأ عنه، منها:

- ١ - دفتر أسماء كتب نادرة، برقم ١١٤٨٩ .
- ٢ - دفتر تراجم: حاوٍ لتراجم علماء من القرن الثامن الهجري برقم ١١٤٧٤ .
- ٣ - دفتر خزائن الكتب، وهو فهرس بالمخطوطات الموجودة في مكاتب استانبول وباريس وحلب وأيا صوفيا برقم ١١٤٨٦ .
- ٤ - مختارات من كتاب «الدياج المذهب في علماء المذهب» (المالكي) برقم ١١٤٦٦ .
- ٥ - ٢٨. دفاتر منوعات مختلفة، اختارها على علم، بالغة القيمة .

نشأته العلمية:

دخل الشيخ طاهر المدرسة الجقمقية الاستعدادية وتخرج منها شيخاً عالمًا، وقد جمع في دراسته إلى جانب علوم الدين واللغة والأدب علوم الطبيعة والرياضيات، كما أتقن تاريخ الملل والنحل .

شيوخه:

- ١ - والده الشيخ صالح بن أحمد الجزائري .
- ٢ - الشيخ عبد الرحمن البوشناقى، أخذ عنه: العربية والفارسية والتركية ومبادئ العلوم .
- ٣ - عبد الغنى الميدانى الغنيمى، أخذ عنه: الفقه والأصول .

وفاته:

أحسَّ رحمه الله وهو في مصر بدنو أجله فعاد إلى دمشق وقد ضعفت قواه وظهر عليه الهرم وبقي إلى أن توفي رحمه الله بعد ثلاثة أشهر من عودته من القاهرة .

في ١٤ ربيع الثاني ١٣٣٨ هـ الموافق لـ ٥ كانون الثاني ١٩٢٠
ودفن في مقبرة ذي الكفل في سفح جبل قاسيون. رحمه الله.

ما أُلّف عنه :

- ١ - كتب الأستاذ خالد الرّيان في فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية،
التاريخ وملحقاته ٢/٢٤٨ - ٢٧٥.
- ٢ - أُلّف الشيخ محمد سعيد الباني الدمشقي كتاباً سماه: تنوير البصائر
بسيرة الشيخ طاهر: وهو مطبوع، فصّل فيه تاريخ حياته، وأفاض في
الكلام على أخلاقه ومزاياه.
- ٣ - كما أُلّف الدكتور عدنان الخطيب كتاباً أسماه: الشيخ طاهر الجزائري
رائد النهضة العلمية في بلاد الشام، وأعلام من خريجي مدرسته.

مراجع ترجمته :

- ١ - مذكرات المؤلف.
- ٢ - مجلة المجمع العلمي العربي ١/١٧، ٣/١٧٥.
- ٣ - محاضرة كرد علي في مجلة المجمع ٨/٥٧٧ - ٥٩٦ - ٦٦٦ - ٦٧٩.
- ٤ - كنوز الأجداد محمد كرد علي ٥ - ٤٦.
- ٥ - الأعلام للزركلي ٣/٢٢٢.
- ٦ - معجم المطبوعات العربية لسركيس ٦٨٨ - ٦٩١.
- ٧ - هدية العارفين للبغدادي ١ - ٤٣٢.
- ٨ - تنوير البصائر بسيرة الشيخ طاهر لسعيد الباني.
- ٩ - فهرس الأزهرية ١/١٤٦، ٣٠٤ ٦٠/١٦٤.
- ١٠ - فهرس التيمورية ١/١٦٥، ٢١٨، ٢٤٧، ٢٨/٢، ٦٢، ٥٦/٣،
٣٠/٤، ٧٩، ١٩٢، ١٢٤/٦.

- ١١ - إيضاح المكنون للبغدادي ٢٢/١ ، ١٧٢ ، ٢٢٤ ، ٢٨٨ ، ٣٢١ ،
٣٧٩ ، ١٢٤/٢ ، ٢٠٤ ، ٤٥٥ ، ٥٩٦ .
- ١٢ - فهرس دار الكتب المصرية ١٤/٢ ، ١٧٩ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ١٣/٣ ،
٦٢ ، ٦٧ ، ٨٢ ، ٩/٧ ، ٦٢ ، ٦٩ .
- ١٣ - مجلة المجمع العلمي العربي ١٧/٢ - ٢١ ، ٥٧٧/٨ - ٥٩٦ ،
٦٦٦ - ٦٧٩ .
- ١٤ - المشرق ١٤٤/٨ - ١٤٨ .
- ١٥ - المقتطف ١٦٤/٥٦ - ١٦٦ ، ٢٩٧ - ٣٠٤ .
- ١٦ - المنار ٦٣٥/٢٢ - ٦٤٠ .
- ١٧ - مجلة الأزهر عدد شهر صَفَر ١٣٧٣ هـ ١٧٣/٢٥ ، ١٧٤ .
- ١٨ - معجم المؤلفين ٣/٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ .

دراسة مقارنة
- السلف
- الخلف
والفرق بينهما



المفهوم الأول

النزول إلى السماء الدنيا، وأمثال ذلك مما جاء به القرآن الكريم أو السنة الشريفة كالمجيء، والإتيان، والإستواء على العرش، والضحك، والفرح، والنفس، والوجه، والعين، واليد، والرجل، من صفات الله عز وجل.

قال الله سبحانه وتعالى لموسى: ﴿وَأَصْطَفَيْنَاكَ لِنَفْسِي﴾ [طه: ٤١] وقال عز وجل: ﴿وَلِتَضَعْ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩] وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] وقال الله عز وجل: ﴿وَيَتَقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] وقال الله عز وجل: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] وقال: ﴿يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] وقال الله عز وجل: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] وقال الله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾ [الفرقان: ٥٩].

وقال رسول الله ﷺ: «ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء حين يبقى ثلث الليل الآخر»، وروى أنس عن النبي ﷺ قال: «تزال جهنم تلقى فيها، وتقول: هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه» وفي رواية أبي هريرة: «حتى يضع الله رجله».

وفي حديث أبي هريرة في آخر من يخرج من النار: «فِيضَحْكُ اللَّهِ مِنْهُ، ثُمَّ يَأْذُنُ لَهُ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ» وفي حديث جابر: «فَيَتَجَلَّى لَهُمْ يَضْحَكُ».

وفي حديث أنسٍ وغيره: «لِلَّهِ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَسْقُطُ عَلَى بَعِيرِهِ وَقَدْ أَضَلَّهُ فِي أَرْضٍ فَلَاةٍ».

فهذه ونظائرها صفات لله تعالى، ورد بها السمعُ يجب الإيمان بها، وإمرارها على ظاهرها معرضاً فيها عن التأويل، مجتنباً عن التشبيه، معتقداً أن البارئ سبحانه وتعالى لا يشبه شيء من صفاته صفات الخلق، كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وعلى هذا مضى سلف الأمة، وعلماء السنة، تلقوها جميعاً بالإيمان والقبول، وتجنبوا فيها عن التمثيل والتأويل، ووكلوا العلم فيها إلى الله عز وجل: ﴿وَالرُّسُخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧].

قال سفيان بن عيينة: كل ما وصف الله تعالى به نفسه في كتابه، فتفسيره قراءته، والسكوت عليه، ليس لأحد أن يفسره إلا الله عز وجل ورسوله.

وسأل رجلُ مالك بن أنس عن قوله سبحانه وتعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟ فقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا ضالاً، وأمر به أن يخرج من المجلس.

وقال الوليد بن مسلم: سألت الأوزاعي، وسفيان بن عيينة، ومالك

ابن أنس عن هذه الأحاديث في الصفات والرؤية، فقال: أمرؤها، كما جاءت بلا كيف.

وقال الزُّهري: على الله البيان، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم.

وقال بعض السلف: قدّم الإسلام لا تثبت إلا على قنطرة التسليم.
أقول: وعلى هذا أغلب علماء الأمة، لا يخالفهم في ذلك إلا متأول دوغما، رد على ما سبق.

أما رأي الإمام ابن الأثير الجزري (توفي: ٦٠٦ هـ) فقد أوردته في كتابه «النهاية في غريب الحديث»، ويعتمده علماء الأمة الإسلامية، فهو الآتي «نَزَلَ»: فيه «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا» النزول والصعود، والحركة والسكون من صفات الأجسام، والله يتعالى عن ذلك ويتقدس. والمراد به نزول الرحمة والألطف الإلهية، وقربها من العباد، وتخصيصها بالليل والثالث الأخير منه؛ لأنه وقت التهجد، غفلة الناس عن تعرض لفحاحات رحمة الله، وعند ذلك تكون النية خالصة، والرغبة إلى الله وافرة، وذلك مَظَنَّة القبول والإجابة. اهـ. عن الإمام البغوي في شرح السنة.



المفهوم الثاني

إن الله عز وجل، ليس له شريك ولا ظهير، ولا يتحيز في مكان ولا ينحصر في زمان، ليس بجوهر ولا عرض ولا جسم ولا يصح عليه شيء من لوازمها كأن يشار إليه بها ههنا أو هناك أو تنسب إليه الحركة والانتقال من مكان إلى آخر، ولا يصح عليه الجهل ولا الكذب ولا النوم أو النسيان أو القسر والإكراه. إلى آخر ما هنالك من أصداد الصفات التي ذكرناها.

غير أنه يُشكل على هذا - بحسب الظاهر - آيات في كتاب الله، وأحاديث ثابتة عن رسول الله ﷺ، تفيد بظاهر ألفاظها وتعاييرها ثبوت بعض هذه النقائص أو النقائص التي نفيناها عن ذات الله جل جلاله، كالجبهة والجسمية والجوارح والأعضاء والتحيز في المكان. كقوله سبحانه وتعالى: ﴿وجاء ربك والملك صفاً صفاً﴾ [الفجر: ٢٢] وقوله: ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ [الفتح: ١٠] وقوله: ﴿بل يده مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾ [المائدة: ٦٤] وقوله: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه: ٥] وكقوله عليه الصلاة والسلام: ﴿إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن﴾ وقوله: ﴿إن الله خلق آدم على صورته﴾.

فكيف نوفق بين ما ذكرناه وأوضحناه بالأدلة القاطعة اليقينية، وبين ظاهر الآيات والنصوص؟

والجواب: أن هذه النصوص القرآنية من نوع المتشابه الذي ذكر الله عز وجل أن في كتابه الكريم آيات منه، والمقصود بالمتشابه كل نص تجاذبته

الاحتمالات حول المعنى المراد منه وأوهم بظاهره ما قامت الأدلة على نفيه .
غير أن هنالك آيات أخرى تتعلق بصفات الله تعالى أيضاً، ولكنها محكمات
أي قاطعة في دلالتها لا تحتمل إلا معناها الواضح الصريح كقوله جل جلاله :
﴿ليس كمثله شيء﴾ [الشورى : ١١] . وقوله : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، اللَّهُ
الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ ، وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص] .

وقد أوضح الله في كتابه بصريح العبارة ، ضرورة إثبات المؤمن
للنصوص المحكمة في كتابه ، وبناء عقيدته في الله بموجبها ، ووضع النصوص
المتشابهة ، من ورائها ، من حيث فهمها والوقوف على المعنى المراد منها . وشدد
النكير على من يتجاهل النصوص المحكمة النيرة القاطعة ليلحق العبارة المتشابهة
الغامضة ويفسرها كما يشاء . وذلك في قوله عز وجل : ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ
الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي
قُلُوبِهِمْ رِيبٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ، وَمَا يَعْلَمُ
تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ، يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا
يَذَكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران : ٧] .

وبناء على ذلك فقد اتفق المسلمون كلهم ، على تنزيله الله تعالى عما
يقتضيه ظاهر تلك النصوص القرآنية ، والأحاديث النبوية ، من الصفات
المنافية لكمال الله وألوهيته ، تنفيذاً لأمر الله عز وجل ، وانسجاماً مع تحذيره
من اتباع المتشابهة والخوض في تأويله مع ترك المحكم الواضح .

وبعد أن اتفقوا على ذلك (وهذا هو القدر الذي يجب أن يعتقده
المسلم) اختلفوا في موقفهم من النصوص المتشابهة ، إلى مذهبين : أولهما :
تمسك به السلف المتقدمون ، وثانيهما : جنح إليه من بعدهم من المتأخرين .

فمذهب السلف : هو عدم الخوض في أي تأويل أو تفسير تفصيلي لهذه
النصوص ، والاكتفاء بإثبات ما أثبتته الله تعالى لذاته ، مع تنزيهه عز وجل عن

كل نقص ومشابهة للحوادث، وسبيل ذلك التأويل الإجمالي لهذه النصوص
وتحويل العلم التفصيلي بالمقصود منها إلى علم الله عز وجل.

أما ترك هذه النصوص على ظاهرها دون أي تأويل لها سواء كان إجمالياً
أم تفصيلياً، فهو غير جائز، وهو شيء لم يمنح إليه سلف ولا خلف. كيف
ولو فعلت ذلك لحملت عقلك معاني متناقضة في شأن كثير من هذه الصفات.
فقد أسند الله إلى نفسه العين بالإفراد في قوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾
[طه: ٣٩] وأسند مرة أخرى إلى نفسه الأعين بالجمع فقال: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ
رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨] فلو ذهبت تفسر كلا من الآيتين على
ظاهرهما دون أي تأويل لالزمت القرآن بتناقض هو منه بريء. وتقرأ قوله
تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] وقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ
إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] فإن فسرت الآيتين على ظاهرهما دون أي
تأويل إجمالي ألزمت كتاب الله تعالى بالتناقض الواضح، إذ كيف يكون
مستوياً على عرشه وبدون أي تأويل، ويكون في الوقت نفسه أقرب إليّ من
حبل الوريد بدون أي تأويل؟!!

وتقرأ قوله تعالى: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ
تَمُورٌ﴾ [الملك: ١٦] وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ﴾
[الزخرف: ٨٤] فلئن فسرتها على ظاهرها أقحمت التناقض في كتاب الله
جل جلاله كما هو واضح.

ولكنك عندما تنزه الله حيال جميع هذه الآيات عن مشابهة مخلوقه في أن
يتحيز في مكان وتكون له أبعاد وأعضاء وصورة وشكل، ثم أثبت لله ما أثبته
هو لذاته، على نحو يليق بكماله، وذلك بأن تكل تفصيل المقصود بكل من
هذه النصوص إلى الله جل جلاله سلّمت بذلك من التناقض في الفهم
وسلّمت القرآن من توهم أي تناقض فيه. وهذه هي طريقة السلف رحمهم
الله، ألا تراهم يقولون عنها: أمرؤها بلا كيف. إذ لولا أنهم يؤولونها تأويلاً

إجمالياً بالمعنى الذي أوضحنا لما صحَّ منهم أن يقولوا ذلك. إذ لماذا يمرونها بلا كيف ودلالة للغة والصياغة العربية واضحة تمنع كل لبسٍ أو جهل سواء في أصل المعنى أم كلفيته. ولكنهم أيقنوا أن الأمر ليس على ظاهر ما تدل عليه الصياغة واللغة. بسبب ما دلت عليه الآيات المحكمة الأخرى، وهذا تأويل إجمالي واضح. إلا أنهم لم يقحموا أنفسهم في تفسير هذه النصوص بكيفيات أخرى يلتزمونها. وهذا هو التوقف عن التأويل التفصيلي. فتأمل ذلك فإنه دقيق وهو الحق الذي لا ينبغي أن يلتبس عليك بغيره.

ومذهب الخلف: الذين جاؤوا من بعدهم هو تأويل هذه النصوص بما يضعها على صراط واحد من الوفاق مع النصوص المحكمة الأخرى التي تقطع بتنزه الله عن الجهة والمكان والجارحة. ففسروا الاستواء في ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ بتسلط القوة والسلطان، وهو معنى ثابت في اللغة ومعروف. وفسروا اليد في الآية الأخرى، بالقوة أو بالكرم، والعين بالعناية والرعاية، وفسروا الأصبعين في الحديث بالإرادة والقدرة، وقالوا عن حديث «إن الله خلق آدم على صورته» إن الضمير راجع إلى آدم لا إلى ذات الله، أي إن الله خلق آدم منذ اللحظة التي أوجده فيها على صورته وهيئته التي كان يتمتع بها فيما بعد، فلم يتطور من شكل إلى آخر، وقالوا أيضاً: ويحتمل أن يعود الضمير فيه على الأخ المذكور في صدر الحديث، حسب الرواية التي ساقها مسلم في صحيحه، وهي «فإذا قاتل أحدكم أخاه فليتنجب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته» أي فليكرم الوجه الذي هو مظهر لخلق آدم عليه الصلاة والسلام. أو الضمير عائد إلى ذات الله تعالى، وذلك كما تدل عليه الرواية الثابتة الأخرى: إن الله خلق آدم على صورة الرحمن. ولكن الصورة بمعنى الصفة، أي جهزه بصفات العلم والإدراك التي هي من صفات الله عز وجل.

واعلم أن مذهب السلف في عصرهم كان هو الأفضل والأسلم،

والأوفق مع الإيمان الفطري المرتكز في كل من العقل والقلب. ومذهب الخلف في عصرهم أصبح هو المصير الذي لا يمكن التحول عنه، بسبب ما قامت فيه من المذاهب الفكرية والمناقشات العلمية، وبسبب ظهور البلاغة العربية مقعدة في قواعد من المجاز والتشبيه والاستعارة.

وهكذا، فقد كان بوسع الإمام مالك رحمه الله أن يقول في عصره لذلك الذي سأله عن معنى الاستواء في الآية: الكيف غير معقول، والاستواء غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. إذ كان العصر عصر إيمان ويقين راسخين، بسبب قرب العهد بعصر النبوة وامتداد الإشراف إليه. ولكن لم يكن بوسع الأئمة الذين قاموا في عصر التدوين وازدهار العلوم واتساع حلقات البحث وفنون البلاغة أن يسلّموا ذلك التسليم دون أن يحلّلوا هذه النصوص على ضوء ما انتهوا إليه من فنون البلاغة والمجاز، خصوصاً وإن فيهم الزنادقة الذين لا يقنعهم منهج التسليم، ويتظاهرون بالحاجة إلى الفهم التفصيلي، وإن كانوا في حقيقة الأمر مُعاندِين.

والمهم أن تعلم بأن كلاً من المذهبيين منهجان إلى غاية واحدة، لأن المآل فيهما إلى أن الله عز وجل لا يشبهه شيء من مخلوقاته وأنه منزّه عن جميع صفات النقص. فالخلاف الذي تراه بينهما خلاف لفظي وشكلي فقط^(١). اهـ.

(١) رمضان البوطي ١١٢ - ١١٦ - كبرى اليقينات الكونية.



المفهوم الثالث

كان الله عز وجل ولا مكان، ولا عرش، ولا ماء، ولا فضاء، ولا هواء، ولا خلأ، ولا ملاء. وكان منفرداً في قَدَمِهِ وأزليته، متوحداً في فردانيته، سبحانه وتعالى في تلك الفردانية، لا يوصف بأنه فوق كذا، إذ لا شيء غيره، هو سابق التحت والفوق، اللذين هما جهتا العالم، وهما لازمان له، والرب تعالى في تلك الفردانية منزّه عن لوازم الحدوث.

فلما اقتضت الإرادة المقدسة، بخلق الأكوان المحدثّة، المخلوقة المحدودة ذوات الجهات، اقتضت الإرادة أن يكون الكون له جهات من العلو والسفل. وهو سبحانه منزّه عن صفات الحدوث، فكُونُ الأكوان، وجعل لها جهتي العلو والسفل.

واقترضت الحكمة الإلهية أن يكون الكون في جهة التحت لكونه، مربوباً مخلوقاً. واقترضت العظمة الربانية أن يكون هو فوق الكون، باعتبار الكون المحدث لا باعتبار فردانيته، إذ لا فوق فيها ولا تحت، والرب سبحانه وتعالى كما كان في قدمه وأزليته وفردانيته، لم يحدث له في ذاته ولا في صفاته، ما لم يكن في قدمه وأزليته، فهو الآن كما كان.

لكن لما أحدث المربوب المخلوق ذا الجهات، والحدود، والخلأ، والملاء، والفوقية، والتحتية، كان مقتضى حكم العظمة للربوبية أن يكون فوق ملكه، وأن تكون المملكة تحته باعتبار الحدوث من الكون، لا باعتبار

القدم من المكوّن، فإذا أشير إليه بشيء يستحيل أن يشار إليه من الجهة التحتية، أو من جهة اليمين أو اليسرة، بل لا يليق أن يشار إليه إلا من جهة العلو. والفوقية، ثم الإشارة هي بحسب الكون، وحدوثه، وأسفله. فالإشارة تقع على أعلى جزء من الكون حقيقة، وتقع على عظمة الرب تعالى كما يليق به، لا كما يقع على الحقيقة المعقولة عندنا في أعلى جزء من الكون، فإنها إشارة إلى جسم، وتلك إشارة إلى إثبات.

إذا علم ذلك فالإستواء صفة له كانت في قدمه، لكن لم يظهر حكمها إلا عند خلق العرش، كما أن الحساب صفة قديمة له لا يظهر حكمها إلا في الآخرة وكذلك التجلي في الآخرة لا يظهر حكمه إلا في محله.

فإذا علم ذلك، فالأمر الذي يهرب المتأولون منه، حيث أولوا الفوقية: بفوقية المرتبة، والاستواء: بالاستيلاء، فنحن أشد الناس هرباً من ذلك، وتنزيهاً للباري سبحانه وتعالى عن الحد الذي يحصره، فلا يجد بحد يحصره، بل بحد تتميز به عظمة ذاته عن مخلوقاته. والإشارة إلى الجهة إنما هو بحسب الكون وأسفله، إذ لا يمكن الإشارة إليه إلا هكذا.

وهو في قدمه سبحانه منزّه عن صفات الحدوث، وليس في القدم فوقية ولا تحتية وإنّ من هو محصور في التحت لا يمكنه معرفة بارئه إلا من فوقه، فتقع الإشارة إلى العرش حقيقة إشارة معقولة، وتنتهي الجهات عند العرش، ويبقى ما وراءه لا يدركه العقل، ولا يكفيه الوهم، فتقع الإشارة عليه كما يليق به مجملًا مثبتًا، لا مكيفًا ولا ممثلًا.

وجه آخر من البيان: هو أن الرب سبحانه ثابت الوجود، ثابت الذات، له ذات مقدسة متميزة عن مخلوقاته، يتجلى يوم القيامة للأبصار، ويحاسب العالم فلا يجهل ثبوت ذاته وتمييزها عن مخلوقاته، فإذا ثبت ذلك، فقد أوجد الأكوان في محل وحيز، وهو سبحانه في قدمه منزّه عن المحلّ.

والحيز، فيستحيل شرعاً وعقلاً عند حدوث العالم أن يحل فيه، أو يختلط به، لأن القديم لا يحل في الحادث، وليس هو محلاً للحوادث، فلزم أن يكون بائناً عنه، وإذا كان بائناً عنه، فيستحيل أن يكون العام في جهة الفوق، وأن يكون الرب سبحانه في جهة التحت.

هذا محال شرعاً وعقلاً، فيلزم أن يكون فوقه بالفوقية اللائقة به التي لا تكيف ولا تمثل، بل يعلم من حيث الجملة والثبوت، لا من حيث التمثيل والتكيف.

وقد سبق الكلام في أن الإشارة إلى الجهة إنما هو باعتبارنا، لأننا في محل وحيزٍ وحدٍّ، والقدم لا فوق فيه ولا جهة، ولا بد من معرفة الموجد، وقد ثبت بينوته عن مخلوقاته، واستحالة علوها عليه، فلا يمكن معرفته والإشارة بالدعاء إليه، إلا من جهة الفوق، لأنها أنسب الجهات إليه، وهو غير محصور فيها، بل هو كما كان في أزليته وقدمه، فإذا أراد المحدث أن يشير إلى القديم فلا يمكنه ذلك إلا بالإشارة إلى الجهة الفوقية، لأن المشير في محل له فوق وتحت، والمشار إليه قديمٌ باعتبار قدمه، لا فوق هناك ولا تحت، وباعتبار حدوثنا وتسفلنا هو فوقنا.

فإذا أشرت إليه تقع الإشارة عليه كما يليق به، لا كما نتوهمه في الفوقية المنسوبة إلى الأجسام، لكننا نعلمها من جهة الإجمال والثبوت لا جهة التمثيل.

فصل: إذا علمنا ذلك واعتقدناه، تخلصنا من شبه التأويل، وعمارة التعطيل، وحماسة التشبيه والتمثيل، وأثبتنا علوربنا وفوقيته، واستواءه على عرشه، كما يليق بجلاله وعظمته، والحق واضحٌ في ذلك، والصدر ينشرح له.

... فالرب سبحانه وصف لنا نفسه بهذه الصفات لتعرفه بها، فوقوقنا

عن إيجابتها ونفيها، عدولاً عن المقصود منه في تعريفنا إيّاه، فما وصف لنا نفسه بها إلا لثبت ما وصف به نفسه، ولا نقف في ذلك.

والتشبيه والتمثيل حماقة وجهالة، فمن وفقه الله للإثبات بلا تحريف، ولا تكييف، ولا وقوف، فقد وقع على الأمر المطلوب منه، إن شاء الله تعالى.

والذي شرح الله به صدري، في حال هؤلاء الشيوخ، الذين أولوا الاستواء: بالاستيلاء، والنزول: بنزول الأمر، واليدين: بالنعمتين، والقدرتين، هو علمي بأنهم ما فهموا في صفات الرب إلا ما يليق بالمخلوقين، فما فهموا عن الله استواءً يليق به، ولا نزولاً يليق به، ولا يدين تليق بعظمته بلا تكييف ولا تشبيه.

[ثم يقول]: ونذكر بيان ذلك إن شاء الله تعالى فنقول:

لا ريب أنا نحن وإياهم متفقون على إثبات صفات الحياة، والسمع، والبصر، والعلم، والقدرة، والارادة، والكلام لله تعالى.

ونحن قطعاً لا نعقل من الحياة إلا هذا العرض الذي يقوم بأجسامنا، وكذلك لا نعقل من السمع والبصر إلا أعراضاً تقوم بجوارحنا. فكما أنهم يقولون: حياته ليست بعرض، وعلمه كذلك، وبصره كذلك، هي صفات: كما يليق به، لا كما يليق بنا.

فكذلك نقول نحن: حياته معلومة وليست مكيفة، وعلمه معلوم وليس مكيفاً، وكذلك سمعه وبصره معلومان، وليس جميع ذلك أعراضاً، بل هو كما يليق به.

ومثل ذلك بعينه فوقيته واستواؤه ونزوله، ففوقيته معلومة - أعني ثابتة - كحوت حقيقة السمع، وحقيقة البصر، فإنها معلومان، ولا يكيفان.

كذلك فوقيته معلومة ثابتة غير مكيفة كما يليق به، واستواؤه على عرشه معلوم ثابت كثبوت السمع، والبصر، غير مكيف.

وكذلك نزوله ثابت معلوم، غير مكيف بحركة وانتقال يليق بالمخلوق، بل كما يليق بعظمته وجلاله.

وصفاته معلومة من حيث الجملة والثبوت، غير معقولة له من حيث التكييف والتحديد، فيكون المؤمن بها مبصراً من وجه، أعمى من وجه، مبصراً من حيث الإثبات والوجود، أعمى من حيث التكييف والتحديد. وهذا يحصل الجمع بين الإثبات لما وصف الله به نفسه، وبين نفي التحريف والتشبيه والوقوف، وذلك هو مراد الله تعالى منا في إبراز صفاته لنا لنعرفه بها، ونؤمن بحقائقها وننفي عنها التشبيه، ولا نعطلها بالتحريف والتأويل، لا فرق بين الاستواء والسمع، ولا بين النزول والبصر، لأن الكل ورد في النص.

فإن قالوا لنا: في الاستواء شبهتم.

نقول لهم: في السمع شبهتم، ووصفتم ربكم بالعرض!!

وإن قالوا: لا عرض، بل كما يليق به. قلنا: في الاستواء والفوقية لا حصر، بل كما يليق به، فجميع ما يلزموننا في الاستواء، والنزول، واليد، والوجه، والقدم، والضحك، والتعجب، من التشبيه.

نلزمهم به في الحياة، والسمع، والبصر، والعلم، فكما لا يجعلونها أعراضاً، كذلك نحن لا نجعلها جوارح، ولا بما يوصف به المخلوق!!

وليس من الانصاف أن يفهموا في الاستواء والنزول، والوجه، واليد صفات المخلوقين، فيحتاجون إلى التأويل والتحريف. فإن فهموا في هذه

الصفات ذلك فيلزمهم أن يفهموا في الصفات السبع^(١)، صفات المخلوقين من الأعراض. !!

فما يلزمونا في تلك الصفات، من التشبيه، والجسمية، نلزمهم في هذه الصفات من العرضية، وما ينزهون ربهم به في الصفات السبع، وينفونه عنه من عوارض الجسم فيها، فكذلك نحن نعمل في تلك الصفات، التي ينسبونها فيها إلى التشبيه سواء بسواء.

وَمَنْ أَنْصَفَ، عرف ما قلناه واعتقده، وَقَبِلَ نصيحتنا، ودان لله بإثبات جميع صفاته هذه وتلك، ونفى عن جميعها التعطيل، والتشبيه، والتأويل، والوقوف.

وهذا مراد الله تعالى منا في ذلك، لأن هذه الصفات وتلك، جاءت في موضع واحد، وهو الكتاب والسنة.

(١) وهي: العلم - الإرادة - القدرة - السمع - البصر - الكلام - الحياة.



مسألة الصفات

وأما مسألة الصفات فتساق مساق مسألة العلو، ولا يفهم منها ما يفهم من صفات المخلوقين، بل يوصف الرب تعالى بها كما يليق بجلاله وعظمته، فينزل كما يليق بجلاله وعظمته، ويداه كما يليق بجلاله وعظمته، ووجهه الكريم كما يليق بجلاله وعظمته، وكيف ينكر الوجه الكريم ويحرف! وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾^(١) وقال ﷺ في دعائه: «نسألك لذة النظر إلى وجهك» [مسند الإمام أحمد ١٩١/٥].

وإذا ثبتت صفة الوجه بهذا الحديث، وبغيره من الآيات والنصوص، فكذلك صفة اليدين، والضحك، والتعجب. ولا يفهم من جميع ذلك إلا ما يليق بالله عز وجل بعظمته، لا ما يليق بالمخلوقات من الأعضاء والجوارح. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. ||

وإذا ثبت هذا الحكم في الوجه، فكذلك في اليدين، والقبضتين. والقدم، والضحك، والتعجب، كل ذلك كما يليق بجلال الله وعظمته، فيحصل بذلك اثبات ما وصف الله به نفسه في كتابه وفي سنة رسوله ﷺ.

ويحصل أيضاً نفي التشبيه والتكليف في صفاته، ويحصل أيضاً ترك التأويل والتحرير المؤدي إلى التعطيل، ويحصل بذلك أيضاً عدم الوقوف

(١) سورة الرحمن: ٢٧.

بإثبات الصفات وحقائقها على ما يليق بجلال الله وعظمته، لا على ما نعقل نحن من صفات المخلوقين.

وأما مسألة الحرف والصوت فتساق هذا المساق.

فإن الله تعالى قد تكلم بالقرآن المجيد بجميع حروفه، فقال تعالى: ﴿المص﴾ [ص: ١] وقال: ﴿ق. والقرآن المجيد﴾ [ق: ١].

وكذلك جاء الحديث: «فينادي يوم القيامة بصوت يسمعه من بُعد كما يسمعه من قُرب» [مسند الإمام أحمد ٤٩٥/٣].

وفي الحديث: «لا أقول: ﴿ألم﴾ حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف» [الحاكم في مستدركه] وهو حديث صحيح.

فهؤلاء ما فهموا من كلام الله إلا ما فهموه من كلام المخلوقين، فقالوا: إذا قلنا بالحرف، فإن ذلك يؤدي إلى القول بالجوارح واللّهوات^(١).

وكذلك إذا قلنا بالصوت، أدى ذلك إلى الحلق والحنجرة. فعملوا بهذا من التخيط، كما عملوا فيما تقدم من الصفات.

والتحقيق هو: إن الله تعالى تكلم بالحروف كما يليق بجلاله وعظمته، فإنه قادر، والقادر لا يحتاج إلى جوارح ولا إلى لهوات. وكذلك له صوت يليق به يسمع، ولا يفتقر (لا يحتاج) ذلك الصوت المقدس إلى الحلق والحنجرة. فكلام الله كما يليق به، وصوته كما يليق به.

ولا ننفي الحرف والصوت عن كلامه سبحانه لافتقارهما منا إلى الجوارح واللّهوات، فإنها في جناب الحق لا يحتاجان إلى ذلك.

(١) اللحمية المشرفة على الحلق فوق الحنجرة.

وهذا ينشرح الصدر له، ويستريح الإنسان به من التعسف والتكلف،
بقوله: هذا عبارة عن ذلك.

فإن قيل: هذا الذي يقرؤه القارىء، هو عين قراءة الله، وعين تكلمه
هو؟

قلنا: لا، بل القارىء يؤدي كلام الله إنما ينسب إلى من قاله مبتدئاً،
لا إلى من قاله مؤدياً مبلغاً. ولفظ القارىء في غير القرآن مخلوق. وفي القرآن
لا يتميز اللفظ المؤدى عن الكلام المؤدى عنه، ولهذا منع السلف عن قول:
لفظي بالقرآن مخلوق، لأنه لا يتميز، كما منعوا عن قول: لفظي بالقرآن غير
مخلوق. فإن لفظ العبد في غير التلاوة مخلوق، وفي التلاوة مسكوت عنه، كيلا
يؤدي الكلام في ذلك إلى القول بخلق القرآن. وما أمر السلف بالسكوت
عنه، يجب السكوت عنه. والله الموفق والمعين.

فصل

العبد إذا أيقن أن الله تعالى فوق السماء، عال على عرشه بلا حصر،
ولا كيفية، وأنه الآن في صفاته كما كان في قدمه، كان لقلبه قبلة في صلاته،
وتوجهه، ودعائه. ومن لا يعرف ربه بأنه فوق السماء على عرشه فإنه يبقى
ضائعاً لا يعرف وجهة معبوده، لكن ربما عرفه بسمعه، وبصره، وقدمه،
وتلك بلا هذا معرفة ناقصة، بخلاف من عرف أن إلهة الذي يعبده فوق
الأشياء، فإذا دخل في الصلاة وكبر، توجه قلبه إلى جهة العرش، منزهاً له
تعالى، مفرداً له كما أفرده في قدمه وأزليته، عالماً أن هذه الجهات من حدودنا
ولوازمننا، ولا يمكننا الإشارة إلى ربنا في قدمه وأزليته إلا بها، لأننا محدثون،
والمحدث لا بد له في اشارته إلى جهة، فتقع تلك الإشارة إلى ربه كما يليق
بعظمته، لا كما يتوهمه هو من نفسه.

فصل

ويعتقد أنه في علوه قريب من خلقه، وهو معهم بعلمه، وسمعه، وبصره، وإحاطته، وقدرته، ومشيئته، وذاته، فوق الأشياء، فوق العرش، ومتى شعر قلبه بذلك في الصلاة أشرق قلبه، واستنار، وأضاء بأنوار المعرفة والايمان وعكفت أشعة العظمة على قلبه، وروحه، ونفسه، فانشرح لذلك صدره، وقوي ايمانه، ونزه ربه عن صفات خلقه، من الحصر والحلول، وذاق حينئذ شيئاً من أذواق السابقين المقربين.

بخلاف من لا يعرف وجهة معبوده، وتكون الجارية راعية الغنم أعلم بالله منه، فإنها قالت: في السماء، عرفته بأنه في السماء، لما قال لها رسول الله ﷺ: «يا جارية أين الله»^(١).

قالت: في السماء. وأقرها على ذلك.

فإن «في» تأتي بمعنى «على» كقوله: ﴿يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾^(٢) أي: على الأرض، وكقوله: ﴿لَأَصْلَبْنَكُمْ فِي جَذُوعِ النَّخْلِ﴾^(٣) أي: على جذوع النخل.

فمن تكون الجارية أعلم بالله منه، لكونه لا يعرف معبوده، فإنه لا يزال مظلم القلب، لا يستنير بأنواع المعرفة والايمان، ومن أنكر هذا القول، فليؤمن به، وليجرب، ولينظر إلى مولاه من فوق عرشه، بقلبه مبصراً من وجه، أعمى من وجه كما سبق، مبصراً من جهة الاثبات والوجود والتحقيق، أعمى من جهة الحصر، والتحديد، والتكييف، فإنه إذا علم ذلك وجد ثمرته إن شاء الله تعالى، ووجد بركته ونوره عاجلاً وآجلاً، ولا ينبئك مثل خبير، والله الموفق والمعين^(٤).

(١) مسند الإمام أحمد. أقول: نفهم ذلك حسب ما سبق من بيان.

(٢) سورة المائدة: ٢٦.

(٣) سورة طه: ٧١.

(٤) الإمام الجويني إمام الحرمين المتوفى ٤٣٨ هـ من كتابه «النصيحة في صفات الرب».



المفهوم الرابع

انقسم الناس في هذا إلى أربع فرق:

١ - المجسمة والمشبّهة:

وهم فرقة أخذت بظواهر ألفاظ الصفات، فنسبت إلى الله وجهاً كوجوه الخلق، ویداً أو أيدياً كأيديهم، وضحكاً كضحكهم، وهكذا حتى فرضوا الإله شيخاً، وبعضهم فرضه شاباً.

وهؤلاء ليسوا من الإسلام في شيء، وليس لقولهم نصيب من الصحة، ويكفي في الرد عليهم قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾.

٢ - المعطلة والجهمية:

وهم فرقة عطلت معاني ألفاظ الصفات على أي وجه، يقصدون بذلك نفي مدلولاتها مطلقاً عن الله تبارك وتعالى، فالله تبارك وتعالى عندهم لا يتكلم ولا يسمع ولا يبصر، لأن ذلك لا يكون إلا بجارحة، والجوارح يجب أن تنفى عنه سبحانه، فبذلك يعطلون صفات الله تبارك وتعالى، ويتظاهرون بتقديسه.

ولا يمكن لإنسان عاقل أن يستسيغ هذا القول.

ولا شك أن هذين الرأيين باطلان، وبقي رأيان هما محلُّ أنظار العلماء في العقيدة الإسلامية، وهما رأي السلف، ورأي الخلف.

٣ - مذهب السلف في آيات الصفات وأحاديثها:

أما السلف رضوان الله عليهم فقالوا: نؤمن بهذه الآيات والأحاديث كما وردت، ونترك بيان المقصود منها لله تبارك وتعالى، فهم يُثبتون اليد، والعين، والأعين، والاستواء، والضحك، والتعجب... الخ وكلُّ ذلك بمعانٍ لا ندركها، ونترك لله تبارك وتعالى الإحاطة بعلمها، ولا سيما وقد نهينا عن ذلك في قول النبي ﷺ: «تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ اللَّهِ، وَلَا تَتَفَكَّرُوا فِي اللَّهِ فَإِنَّكُمْ لَنْ تَقْدَرُوهُ قَدْرَهُ»، قال العراقي: رواه أبو نعيم في «الحلية» بإسناد ضعيف، ورواه الأصهباني في الترغيب والترهيب بإسناد أصح منه، ورواه أبو الشيخ وكذلك مع قطعهم رضوان الله عليهم بانتفاء المشابهة بين الله وبين الخلق، وهذه أقوال بعضهم:

قول محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة رضي الله عنهما:

نقل أبو القاسم اللالكائي في كتابه «أصول السنة» قول محمد بن الحسن، قال: «اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاءت بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب عز وجل من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه، فمن فسر اليوم شيئاً من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي ﷺ، وفرق الجماعة، فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا، ولكن أفتوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا.

قول الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه:

نقل الخلال في كتابه: «السنة» عن حنبل، وذكره حنبل في كتبه، مثل كتاب «السنة والمحنة» قال حنبل: سألت أبا عبد الله، [أي: أحمد بن حنبل] عن الأحاديث التي تروى: «إن الله تبارك وتعالى ينزل إلى سماء الدنيا».

و «إِنَّ اللَّهَ يُرَى» و «إِنَّ اللَّهَ يَضَعُ قَدَمَهُ» وما أشبه هذه الأحاديث؟ .

فقال أبو عبد الله [أحمد بن حنبل]: نؤمن بها، ونصدق بها، ولا كيف ولا معنى، ولا نردُّ منها شيئاً، ونعلمُ أنَّ ما جاء به الرسول ﷺ حقٌّ إذا كان بأسانيد صحاح، ولا نردُّ على الله قوله، ولا يوصفُ الله تبارك وتعالى بأكثر مما وصف به نفسه بلا حدٍّ ولا غاية، ليس كمثله شيءٌ .

قول الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه :

روى حرمله بن يحيى قال : سمعت عبد الله بن وهب يقول : سمعتُ مالك بن أنس يقول : مَنْ وصفَ شيئاً من ذات الله مثل قوله : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يُدْعَى اللَّهُ مَغْلُوبَةً ﴾ [المائدة : ٦٤] . فأشار بيده إلى عنقه ، ومثل قوله : ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] . فأشار إلى عينه أو أذنه أو شيءٍ من يديه ، قَطَعَ ذلك منه ^(١) ، لأنه شَبَّه الله بنفسه .

ثم قال مالك : أما سمعتَ قول البراء حينَ حدَّثَ أن النبي ﷺ : لا يُضْحِي بأربعٍ مِنَ الضحايا ، وأشار البراء بيده كما أشار النبي ﷺ ، قال البراء : ويدي أقصرُ من يد رسولِ الله ﷺ ، فكره البراء أن يَصِفَ يد رسولِ الله ﷺ إجلالاً له وهو مخلوقٌ ، فكيف الخالقُ الذي ليسَ كمثله شيءٌ ؟!

قول عبد العزيز بن عبد الله الماجشون :

روى الأثرم والطمنكي وابنُ بطة في كتبهم عن الماجشون كلاماً طويلاً في هذا المعنى ختمه بقوله : فما وصف الله من نفسه ، فسماه على لسان رسوله سميناه كما سماه ، ولم نتكلف منه صنعة ما سواه ، لا هذا ولا هذا ، لا نجحد ما وصف ، ولا نتكلف معرفة ما لم يصف ^(٢) .

(١) لأنه بإشارته إلى عنقه ويده وأذنه وعينه يكون قد شَبَّه الله بنفسه ، والأمر على خلاف ذلك ، ﴿ ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير ﴾ .

(٢) من (البناء : العقائد ٦٦ - ٧٨) .

وما ذُكِرَ عن رسول الله ﷺ أنه سماه من صفة ربه فهو بمنزلة ما سُمي
 ووصف الربُّ تعالى من نفسه، والراسخون في العلم، الواقفون حيث انتهى
 بهم علمهم، الواصفون لربهم بما وصف نفسه التاركون لما ترك من ذكرها لا
 ينكرون صفة ما سُمي منها جحداً، ولا يتكلفون وصفه بما لم يُسمَ تعمقاً،
 لأن الحق ترك ما ترك وسمى ما سُمي: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ
 مَا تَوَلَّى وَنُضِلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

٤ - مذهب الخلف في آيات الصفات وأحاديثها:

قالوا إننا نقطع بأن معاني ألفاظ هذه الآيات والأحاديث لا يُراد بها
 ظواهرها، وعلى ذلك فهي مجازات لا مانع من تأويلها، فأخذوا يؤولون «الوجه»
 بالذات، و«اليد» بالقدرة، وما إلى ذلك، هرباً من شبهة التشبيه. وهذه
 أقوال بعضهم:

قول الإمام ابن الجوزي الحنبلي:

قال في كتابه: «دفع شبهة التشبيه»: قال الله تعالى: ﴿وَيَقْنِي وَجْهَ
 رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧] قال المفسرون: يبقى ربك، وكذلك قالوا في قوله
 تعالى: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعام: ٥٢]: أي يريدونه. وقال الضحاك وأبو
 عبيدة: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨].

وإن مما قاله أيضاً: إن الأخذ بالظاهر هو تجسيم وتشبيه، لأن ظاهر
 اللفظ هو ما وضع له، فلا معنى لليد حقيقة إلا الجارحة، وهكذا. وأما
 مذهب السلف فليس أخذها على ظاهرها، ولكن السكوت جملة عن البحث
 فيها. وأيضاً فقد ذهب إلى أن تسميتها آيات صفات، وأحاديث صفات
 تسميه مبتدعة لم ترد في كتاب ولا في سنة، وليست حقيقية، فإنها إضافات
 ليس غير، واستدل على كلامه في ذلك بأدلة كثيرة.

قول الفخر الرازي:

كتب الفخر الرازي في كتابه «أساس التقديس» ما يأتي: واعلم أن نصوص القرآن لا يمكن إجراؤها على ظاهرها لوجوه:

الأول: أن ظاهر قوله تعالى: ﴿وَلْيُضَنِّعْ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩]. يقتضي أن يكون موسى عليه السلام مستقراً على تلك العين ملتصقاً بها مستعلياً عليها وذلك لا يقوله عاقل.

الثاني: أن قوله تعالى: ﴿وَأَصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود: ٣٧] يقتضي أن يكون آلة تلك الصنعة هي تلك العين.

الثالث: أن إثبات الأعين في الوجه الواحد قبيح، ثبت أنه لا بد من المصير إلى التاويل، وذلك هو أن تُحمَل هذه الألفاظ على شدة العناية والحراسة.

قول الإمام أبي حامد الغزالي:

تحدث الإمام الغزالي في كتاب «العلم» من كتاب «أحياء علوم الدين» عن نسبة العلم الظاهر إلى الباطن وأقسام ما يتأتى فيه الظهور والبطون، والتاويل وغير التاويل: القسم الثالث أن يكون الشيء بحيث لو ذُكِرَ صريحاً لفهم ولم يكن فيه ضرر، ولكن يُكَنَّى عنه على سبيل الاستعارة والرمز، ليكون وقَعُهُ في قلب المستمع أغلب... ومنه قوله ﷺ: «إِنَّ الْمَسْجِدَ لَيَنْزَوِي مِنْ نَخَامَةِ كَمَا تَنْزَوِي الْجَلْدَةُ عَلَى النَّارِ». ومعناه أن روح المسجد وكونه معظماً، ورمي النخامة فيه تحقير له فيفاد معنى المسجدية مضادة النار لانصال أجزاء الجلد. وأنت ترى أن ساحة المسجد لا تنقبض من نخامة، وكذلك قوله ﷺ: «أَمَّا يَجْشِي الَّذِي يَرْفَعُ رَأْسَهُ قَبْلَ الْإِمَامِ أَنْ يَجْوَلَ اللَّهُ رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَارٍ» وذلك من حيث الصورة لم يكن قط ولا يكون، ولكن من حيث المعنى هو كائن؛ إذ رأس الحمار لم يكن بحقيقته وكونه وشكله بل بخاصيته، وهي

البلادة والحمق، وَمَنْ رَفَعَ رَأْسَهُ قَبْلَ الْإِمَامِ فَقَدْ صَارَ رَأْسُهُ رَأْسَ الْحِمَارِ فِي
مَعْنَى الْبِلَادَةِ وَالْحَمَقِ، وَهُوَ الْمَقْصُودُ دُونَ الشَّكْلِ. وَإِنَّمَا يَعْرِفُ أَنَّ هَذَا السَّرَّ
عَلَى خِلَافِ الظَّاهِرِ إِمَّا بِدَلِيلٍ عَقْلِيٍّ أَوْ شَرْعِيٍّ. أَمَّا الْعَقْلِيُّ فَأَنَّ يَكُونُ حَمَلُهُ عَلَى
الظَّاهِرِ غَيْرِ مُمْكِنٍ، كَقَوْلِهِ ﷺ: «قَلْبُ الْمُؤْمِنِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ»
إِذْ لَوْ فَتَشْنَا عَنْ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ نَجِدْ فِيهَا أَصَابِعَ، فَعَلِمَ أَنَّهَا كِنَايَةٌ عَنِ الْقُدْرَةِ
الَّتِي هِيَ سِرُّ الْأَصَابِعِ، وَرُوحَهَا الْخَفِيُّ، وَكُنِيَ بِالْأَصَابِعِ عَنِ الْقُدْرَةِ لِأَنَّ ذَلِكَ
أَعْظَمُ وَقَعًا فِي تَفْهَمِ تَمَامِ الْاِقْتِدَارِ.



خلاصة بالغة الأهمية

نتبين مما سبق أن هنالك طريقتين صحيحين من بين الطرق الأربع التي تبعها المسلمون ومن ينسب إلى الإسلام هما: طريقا السلف والخلف، وقد كان هذان الطريقتان مثار خلافٍ شديدٍ بين علماء الكلام من أئمة المسلمين، وأخذ كلُّ يدعّم مذهبه بالحجج والأدلة، ولو بحثت الأمر لعلمت أن مسافة الخلف بين الطريقتين لا تحتمل شيئاً من هذا لو ترك أهل كلِّ منهما التطرف والغلو، وأن البحث في مثل هذا الشأن مهما طال فيه القول، لا يؤدي في النهاية إلا إلى نتيجة واحدة، هي التفويض لله تبارك وتعالى، وهذا ما سيأتي تفصيله:

قد علمت أن مذهب السلف في الآيات والأحاديث التي تتعلق بصفات الله تبارك وتعالى أن يُروها على ما جاءت عليه، ويسكتوا عن تفسيرها أو تأويلها، وأن مذهب الخلف أن يؤولوها بما يتفق مع تنزيه الله تبارك وتعالى عن مشابهة خلقه، وعلمت أن الخلاف شديدٌ بين أهل الرأيين حتى أدى بينهما إلى التنازع بالألقاب العصبية، وبيان ذلك من عدة أوجه:

أولاً: اتفق الفريقان على تنزيه الله تبارك وتعالى عن المشابهة لخلقِه.

ثانياً: كلُّ منهما يقطعُ بأن المراد بالفاظِ هذه النصوص في حقِّ الله تبارك وتعالى غيرُ ظواهرها التي وُضعت لها هذه الألفاظ في حق المخلوقات، وذلك مرتبٌ على اتفاقهما على نفي التشبيه.

ثالثاً: كلُّ من الفريقين يعلمُ أن الألفاظ توضع للتعبير عما يجولُ في النفوس، أو يقعُ تحتِ الحواسِّ مما يتعلقُ بأصحاب اللغةِ وواضعيها، وأن اللغاتِ، مهما اتسعت، لا تحيطُ بما ليس لأهلها بحقائقه علمٌ، وحقائقُ ما يتعلقُ بذات الله تبارك وتعالى من هذا القبيل، فاللغةُ أقصرُ من أن تواتينا بالألفاظِ التي تدلُّ على هذه الحقائق، فالتحكُّم في تحديد المعاني بهذه الألفاظ تغريبٌ.

وإذا تقرر هذا فقد اتفق السلفُ والخلفُ على أصل التأويلِ، وانحصَرَ الخلافُ بينهما في أنَّ الخلفَ زادوا تحديد المعنى المراد حيثما ألجأتهم ضرورةُ التنزيه إلى ذلك حفظاً لعقائد العوام من شبهة التشبيه، وهو خلافُ لا يستحقُّ ضجةً ولا إعناتاً.

ونحن نعتقدُ أن رأي السلفِ من السكوتِ وتفويضِ علمِ هذه المعاني إلى الله تبارك وتعالى أسلمٌ وأولى بالاتباع، حسماً لمادة التأويلِ والتعطيلِ، فإن كنت ممن أسعده الله بطمأنينة الإيمان، وأثلج صدره ببرد اليقين فلا تعدل به بديلاً، ونعتقدُ إلى جانب هذا أن تأويلات الخلف لا توجبُ الحكمَ عليهم بكفرٍ ولا فسوقٍ، ولا تستدعي هذا النزاعَ الطويلَ بينهم وبين غيرهم قديماً وحديثاً، وصدراً للإسلام أوسعُ من هذا كله. وقد لجأ أشدُّ الناسِ تمسكاً برأي السلف، رضوانُ الله عليهم، إلى التأويلِ في عدَّة مواطن، وهو الإمام أحمدُ بن حنبلٍ رضي الله عنه، من ذلك تأويله الحديث: «الحجرُ الأسودُ يمينُ الله في أرضه» وقوله ﷺ: «قلبُ المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن» وقوله ﷺ: «إني لأجد نفسَ الرحمن من جانب اليمن».

وقد رأيتُ للإمام النووي رضي الله عنه ما يفيد قرب مسافة الخلافِ بين الرأيين مما لا يدعُ مجالاً للنزاعِ والجدالِ ولا سبياً وقد قيد الخلفُ أنفسهم في التأويلِ بجوازه عقلاً وشرعاً، بحيث لا يصطدمُ بأصلٍ من أصول الدين.

قال الرازي في كتابه «أساس التقديس»: «ثم إن جَوَزنا التَأْوِيلَ اشتغلنا على سبيل التبرع بذكر تلك التَأْوِيلَات على التفصيل، وإن لم نجز التَأْوِيل فَوَضنا العلم بها إلى الله تعالى، فهذا هو القانون الكلي المرجوع إليه في جميع المشابهات، وبالله التوفيق».

وخلاصة هذا البحث أن السلف والخلف قد اتفقا على أن المراد غير الظاهر المتعارف بين الخلق، وهو تَأْوِيلٌ في الجملة، واتفقا كذلك على أن كل تَأْوِيلٍ يصطدم بالأصول الشرعية غير جائز، فانحصر الخلاف في تَأْوِيلِ الألفاظ بما يجوز في الشرع، وهو حين كما ترى، وأمر لنا إليه بعض السلف أنفسهم، وأهم ما يجب أن توجه إليه هم المسلمون الآن توحيد الصفوف، وجمع الكلمة ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، والله حسبنا ونعم الوكيل.



مفاهيم إضافية لا بد منها

- لما كان الباري أكمل الموجودات، وجب أن تكون معرفتنا به أكمل معرفة، كما أن معرفتنا بالرياضيات أكمل من معرفتنا بالطبيعات، لأن موضوع الأولى أكمل من موضوع الثانية، ولكننا أمام الموجود الأول كأننا أمام أبهر الأنوار فلا نستطيع احتمال له لضعف أبصارنا، لأن الضعف الناشئ عن ملاسباتنا من مادة يقيد معارفنا ويعوقها.

الحِسُّ لا يدرك صِرْفَ المعنى، ولا يدرك الصورة إلا في المادة، وإلا مع علائق المادة، من كَمٍّ، وكَيْفٍ، وأَيْنَ، ووضع.

والروح الإنسانية هي التي تتمكن من تصور المعنى بحدده وحقيقته، منفوض اللواحق الغريبة، مأخوذاً من حيث يشترك فيه الكثير، وذلك بقوة تسمى العقل النظري.

وليس من شأن المحسوس، من حيث هو محسوس، أن يُعقل.

ولا من شأن المعقول من حيث هو معقول، أن يُحس...

والحِسُّ تَصَرُّفه فيما هو من عالم الخلق.

والعقل تَصَرُّفه فيما هو من عالم الأمر.

وما هو فوق الخلق والأمر، فهو محتجب عن الحِسِّ والعقل.

والذات الأحدية لا سبيل إلى إدراك كنه ذاتها، بل تُعرف صفاتها. وإن عقولنا لا تصلح أن تكون حكماً نحكم بها على أعمال الله تعالى، وأسراره في

خلقه، وتدبيره وقضائه وقدره.

ولاين خلدون تعليق يضيف بُعداً آخر يضيء به جنبات الموضوع إذ يقول: وليس ذلك بقادح في العقل ومداركه، بل العقل ميزان صحيح، وأحكامه يقينية لا كذب فيها، غير أنك لا تطمع أن تزن به أمور التوحيد والآخرة وحقيقة النبوة وحقائق الصفات الإلهية وكل ما وراء طوره، فإن ذلك طمعٌ في محال، ومثال ذلك: مثال رجل رأى الميزان الذي يوزن به الذهب، فطمع أن يزنَ به الجبال، وهذا لا يدلُّ على أن الميزان في أحكامه غير صادق ولكن العقل قد يقف عنده ولا يتعدى طوره، حتى يكون له أن يحيط بالله وصفاته، فإنه ذرةٌ من ذرات الوجود الحاصل منه.

إن العقل الانساني قادر من غير تعليم ولا إرشاد، على إدراك وجود الله بآثاره في مخلوقاته، وإقامة الأدلة الصادقة على ذلك.

إن عقلنا يستمد المعرفة من الحواس. ولكن هذا العقل، الذي خلقه الله فينا، هو قوةٌ مننّمة تستطيع تنظيم التنبيهات الحسية، وتحويلها إلى أفكار كلية، وأفكار مجردة.

ولكن معرفة العقل المباشرة مقصورةٌ على عالم الحس، وليس في مقدوره أن يعرف من طريق مباشر، العالم الذي فوق المحسوس ووراء الطبيعة، وإن كان في مقدوره، بالمقارنة والقياس، أن يستمد معرفةً غير مباشرة لوجود الله، ويدرك أنه الخالق لجميع الكائنات، وأنه واحدٌ أحد، لا يتعدد، ولا يتحول، ولا يحيط به زمان، لأن سِرَّ العالم الموحد يكشفُ عن عقل واحد وقانون واحد، أما ما وراء ذلك من أسرار الغيب، فالعقل عاجزٌ عن إدراكه، كما أنه يصعب عليه تصور الأمور غير المادية كالروح، لأن تجاربنا الخارجية كلها، مقصورة على الأشياء المادية، بل هو عاجزٌ عن إدراك كثير من حقائق الحياة، فما من عالم قد عرف حتى اليوم حقيقة ذبابة، اهـ.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ
الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ
الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَفِيدُوهُ مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ، مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ
قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ١٧٣].



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الحمد لله * وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم *
﴿وبعد﴾ فهذه رسالة مشتملة على المسائل المهمة في علم الكلام،
قريبة المأخذ للأفهام. جعلتها على طريق السؤال والجواب، وتساهلت في
عباراتها تسهيلاً للطلاب.



المقدمة وتشتمل على أربع مسائل

س: ما معنى العقيدة الإسلامية؟

ج: العقيدة الإسلامية هي الأمور التي يعتقدُها أهلُ الإسلامِ أي يجزمون بصحتها.

س: ما معنى الإسلام؟

ج: الإسلامُ هو الإقرارُ باللسانِ، والتصديقُ بالقلبِ بأن جميع ما جاء به نبتينا محمدٌ ﷺ حقٌ وصدق.

س: ما أركان العقيدة الإسلامية: أي أساسها؟

ج: أركانُ العقيدةِ الإسلاميةِ أشياء: وهي الإيمانُ بالله تعالى، والإيمانُ بملائكته، والإيمانُ بكتبه، والإيمانُ برسله، والإيمانُ باليوم الآخر، والإيمانُ بالقدر.



المبحث الأول في الإيمان بالله سبحانه وتعالى

س: كيف الإيمان بالله سبحانه وتعالى إجمالاً^(١)؟

ج: هو أن نعتقد أن الله سبحانه وتعالى متصف بجميع صفات الكمال ومُنزَّهٌ عن جميع صفات النقصان.

س: كيف الإيمان بالله سبحانه وتعالى تفصيلاً؟

ج: هو أن نعتقد أن الله سبحانه وتعالى موصوف: بالوجود، والقدم، والبقاء، والمخالفة للحوادث، والقيام بنفسه، والوحدانية، والحياة والعلم، والقدرة، والارادة، والسمع والبصر، والكلام، وأنه حيٌّ، عليمٌ، قادرٌ، مريدٌ، سميعٌ، بصيرٌ، متكلمٌ.

س: كيف الاعتقاد بالوجود لله تعالى؟

ج: هو أن نعتقد أن الله تعالى موجود^(٢) وأن وجوده بذاته ليس بواسطة شيء، وأن وجوده واجب لا يمكن أن يلحقه عدم.

س: كيف الاعتقاد بالقدم لله سبحانه وتعالى؟

ج: هو أن نعتقد أن الله قديمٌ: نعني أنه موجودٌ قبل كل شيء، وأنه لم

(١) الإيمان بالله عز وجل بالإجمال هو أن نعتقد أن الله سبحانه وتعالى متصف بجميع صفات الكمال ومنزه عن جميع صفات النقصان.

(٢) من أولى الصفات التي يشهتها العقل، وتدركها البديهة، قال الله تعالى: ﴿قَالَتْ رَسُولُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [سورة إبراهيم: ١٠].

يَكُنْ معدوماً في وقت من الأوقات، وأنَّ وجوده ليس له أولٌ (١).

س: كيف الاعتقاد بالبقاء لله سبحانه وتعالى؟

ج: هو أن نعتقد أنَّ الله سبحانه وتعالى باقٍ وأن بقاءه ليس له نهايةٌ، وأنَّه لا يزول أصلاً، ولا يلحقه العدم في وقت من الأوقات (٢).

س: كيف الاعتقاد بمخالفته تعالى للحوادث، أي المخلوقات؟

ج: هو أن نعتقد أنَّ الله تعالى لا يشابهه شيءٌ: لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله (٣).

س: كيف الاعتقاد بمخالفة ذاته سبحانه للحوادث؟

ج: هو أن نعتقد أنَّ ذات الله سبحانه وتعالى لا تشابه شيئاً من المخلوقات بوجهٍ من الوجوه، فكلُّ ما تراه أو يخطر ببالك فإله ليس كذلك. ليس كمثله شيءٌ (٤).

(١) ودليل ثبوت هذه الصفة قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [سورة الحديد: ٣] وقول النبي ﷺ: «أنت الأول فليس قبلك شيء»، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء».

(٢) ودليل ثبوت هذه الصفة قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾.

(٣) دليل ثبوت هذه الصفة قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى: ١١] وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [سورة الصمد]. وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٥] وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ. بَدِيعُ السَّمَانَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة الأنعام: ١٠٠]. [١٠١].

(٤) ودليله قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١].

س: كيف الاعتقاد بأن صفاته سبحانه وتعالى مخالفة صفات الحوادث؟

ج: هو أن نعتقد أن عِلْمَ الله تعالى لا يُشابه علمنا، وأن قدرته لا تُشابه قدرتنا، وأن إرادته لا تُشابه إرادتنا، وأن حياته لا تُشابه حياتنا، وأن سمعه لا يشابه سمعنا، وأن بصره لا يشابه بصرنا، وأن كلامه لا يشابه كلامنا^(١).

س: كيف الاعتقاد بأن أفعاله سبحانه وتعالى مخالفة لأفعال الحوادث؟

ج: هو أن نعتقد أن أفعال المولى سبحانه وتعالى لا تشابه أفعال شيء من الموجودات. لأن المولى سبحانه وتعالى يفعل الأشياء بلا واسطة ولا آلة ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٢)، وأنه لا يفعل شيئاً لاحتياجه إليه، وأنه لا يفعل شيئاً عبثاً أي بغير فائدة لأنه سبحانه وتعالى حكيم^(٣).

(١) ونرى أن هناك كثيراً من الصفات يشترك فيها الانسان وهو من الحوادث مع الله جل جلاله كصفة العلم والقدرة والإدراك والسمع والبصر ونحوها. وذلك يناقض ما ثبت من أنه مخالف للحوادث حسب الظاهر.

والجواب أن الإنسان يتصف بطائفتين من الصفات: الأولى صفات هي في الحقيقة ثمرة الحدوث والمخلوقة القائمة فيه. كالتمييز في المكان والزمان والحاجات الجسمية والنفسية المختلفة وعوارض العجز والضعف ومظاهر الطبع. فهذه صفات نابعة من كيانه الذي يتميز بالحدوث. اهـ.

والطائفة الثانية: صفات هي في الحقيقة تشترك في التسمية فقط مع صفات الله عز وجل، وتختلف عنها في الحقيقة والجوهر، كالعلم، والقدرة، والإرادة، والإدراك، وما شابه ذلك.

(٢) سورة يس: ٨٥

(٣) حكيم: ذو الحكمة، وهي الإصابة في التقدير، والإحسان في التدبير، ولئن خفيت عنا الحكمة في بعض أفعال الخالق فذلك من قصور نظرنا، وضيق أفق تفكيرنا وتجاربتنا.

س : كيف الاعتقاد بقيامه تعالى بنفسه؟

ج : هو أن نعتقد أن الله سبحانه وتعالى لا يحتاج إلى شيء من الأشياء : فلا يحتاج إلى مكان ولا إلى محل ولا إلى شيء من المخلوقات أصلاً . فهو الغني عن كل شيء وكل شيء محتاج إليه سبحانه وتعالى^(١) .

س : كيف الاعتقاد بحياة الله سبحانه وتعالى؟

ج : هو أن نعتقد أن الله تعالى حي ، وأن حياته سبحانه ليست كحياتنا : فإن حياتنا بوسائط كجريان الدم والنفس ، وحياة الله سبحانه ليست بواسطة شيء . وهي قديمة باقية لا يلحقها العدم والتغير أصلاً^(٢) .

س : كيف الاعتقاد بوحدانية الله تعالى؟

ج : هو أن نعتقد أن الله تعالى واحد ليس له شريك ولا نظير ولا مائل ولا ضد ولا معاند^(٣) .

س : كيف الاعتقاد بعلم الله تعالى؟

ج : هو أن نعتقد أن الله تعالى موصوفٌ بالعلم ، وأنه بكل شيء عليمٌ : يعلم الأشياء كلها ظاهرها وباطنها ، ويعلم عدد حبات الرمل ، وعدد قطرات المطر ، وأوراق الشجر ، ويعلم السر وأخفى . لا تخفى عليه خافية ، وعلمه ليس بمكتسب ، بل يعلم الأشياء في الأزل قبل وجودها^(٤) .

(١) ودليله قوله تعالى : ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [سورة الإخلاص : ٢] .

(٢) ودليل ثبوت هذه الصفة قوله تعالى : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [سورة البقرة : ٢٥٥] .

(٣) ومعناها كذلك : سلب تصور الكمية في ذاته وصفاته سبحانه وتعالى ، والعلم بأنه جل وعلا ليس كلاً مركباً من أجزاء ، ولا كلياً مكوناً من جزئيات ، دليل ذلك قوله تعالى : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ .

(٤) دليل ثبوت هذه الصفة آيات كثيرة منها قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ .

س : كيف الاعتقاد بقدره الله تعالى :

ج : هو أن نعتقد أن الله سبحانه وتعالى موصوف بالقدرة وأنه على كل شيء قدير^(١).

س : كيف الاعتقاد بإرادة الله تعالى ؟

ج : هو أن نعتقد أن الله تعالى موصوف بالإرادة، وأنه مُريد لا يقف شيء إلا بإرادته، فأى شيء أرادَه كان، وأي شيء لم يُردَه فإنه لا يمكن أن يكون^(٢).

س : كيف الاعتقاد بسمع الله تعالى ؟

ج : هو أن نعتقد أن الله سبحانه موصوف بالسمع، وأنه يسمع كل شيء، سراً كان أو جهراً. لكن سمعُه سبحانه وتعالى ليس كسمعنا فإن سمعنا بواسطة الأذن، وسمعُه سبحانه ليس بواسطة شيء^(٣).

س : كيف الاعتقاد ببصر الله تعالى ؟

ج : هو أن نعتقد أن الله سبحانه موصوف بالبصر^(٤) وأنه بكل شيء

(١) وهي صفة أزلية قائمة بذاته تعالى يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه وتكييفه، وهذه الصفة من حيث هي معنى أزلي قائم بذاته تعالى، صالح لأن يوجد به الممكنات أو يعدمها أو يكييفها، بقطع النظر عن التنفيذ. ودليل ثبوت هذه الصفة قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥] وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة الحديد: ٢].

(٢) وهي صفة أزلية قائمة بذاته تعالى من شأنها تخصيص الممكنات ببعض ما يجوز عليها من وجود وعدم وتكييف. ودليل ثبوتها قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [سورة هود: ١٠٧] وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠].

(٣) وهو صفة أزلية قائمة بذاته تعالى، ودليل ثبوت هذه الصفة قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [المائدة: ٧٦].

(٤) وهو صفة أزلية قائمة بذاته تعالى، ودليل ثبوت هذه الصفة قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٢٠].

بصيرٌ: يبصر حتى النملة السوداء في الليلة الظلماء وأصغر من ذلك، لا يخفى على بصره شيء في ظاهر الأرض وباطنها وفوق السماء وما دُونها، لكنَّ بصره سبحانه ليس كبصرنا: فإنَّ بصرنا يكون بواسطة العين، وبصره سبحانه ليس بواسطة شيء.

س: كيف الاعتقاد بكلام الله تعالى؟

ج: هو أنَّ نعتقد أنَّ الله سبحانه موصوف بالكلام، وأنَّ كلامه لا يُشبه كلامنا: فإنَّ كلامنا مخلوقٌ فإنا وبواسطة آله من فمٍ ولسانٍ وشفَتين، وكلامه سبحانه وتعالى ليس كذلك^(١).

س: أخبرني عن الصفات المستحيلة التي لا يتصف بها المولى سبحانه وتعالى؟

ج: الصفات المستحيلة في حقِّ الله تعالى - أي التي لا يمكن أن يتصف بها - هي العدم، والحدوث، والفناء، والمماثلة للحوادث، والاحتياج لغيره سبحانه وتعالى، ووجود الشريك؛ والعجز والكراهية. أي وقوع شيء بغير إرادته. والجهل^(٢) وأشباه ذلك، وإنما استحال اتصافه بها لأنها صفات نقصان، والمولى سبحانه وتعالى لا يتصف إلا بصفات الكمال.

س: أخبرني عن الأشياء التي يجوز صدورها من المولى سبحانه وتعالى.

ج: هي فعلُ الممكنات وتركها، مثل أن يجعل الإنسان غنياً أو فقيراً،

(١) وهو أيضاً صفة أزلية قائمة بذاته تعالى هو بها أمر وناهٍ ومخير، ودليل ثبوت هذه الصفة لله تعالى قوله جل وعلا: ﴿وَإِنْ أَخَذَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتِجَارَكَ فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغُهُ مَأْمَنَهُ﴾ [التوبة: ٦] وقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

(٢) كما أنه جل شأنه ليس له شريك ولا ظهير، ولا يتحيز في مكان، ولا ينحصر في زمان، ليس بجوهر ولا عرض، ولا جسم، ولا يصح عليه شيء من لوازمها كأن يشار إليه بها هنا أو هناك أو تنسب إليه الحركة والانتقال من مكان إلى آخر إلى غير ذلك من أضداد صفات الكمال.

صحيحاً أو سقيماً، وأشباه ذلك .

س : ما المراد بالاستواء في قوله سبحانه : «الرحمن على العرش

استوى»^(١)؟

ج : المرادُ به استواءٌ يليقُ بجلال الرحمن جلَّ وعلا، فالاستواءُ معلومٌ والكَيْفُ مجهولٌ . واستواؤه على العرش ليس كاستواءِ الإنسانِ على السفينةِ أو ظهر الدابةِ أو السريرِ مثلاً، فمن تصوّر مثل ذلك فهو ممن غلبَ عليه الوهمُ لأنه شبه الخالقَ بالمخلوقاتِ مع أنه قد ثبتَ في العقلِ والنقلِ أنه ليس كمثلها شيء . فكما أنَّ ذاته لا تشابه ذات شيء من المخلوقاتِ كذلك ما يُنسبُ إليه سبحانه لا يُشابه شيئاً مما يُنسبُ إليها .

س : هل يضاف إلى الله سبحانه يدان أو أعين أو نحو ذلك؟

ج : قد وردَ في الكتاب العزيز إضافةُ اليدِ إلى الله سبحانه في قوله جل شأنه : ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾^(٢) واليدين في قوله سبحانه : ﴿يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِي﴾^(٣) والأعين في قوله سبحانه : ﴿وَاصْبِرْ بِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾^(٤) إلا أنه لا يجوز أن يضافَ إليه إلا ما أضافه إلى نفسه في كتابه المنزل أو أضافه إليه نبيُّ المرسل .

س : ما المراد باليد هنا؟

ج : المرادُ باليد هنا معنىً يليقُ بجلاله سبحانه . وكذلك الأعينُ . فإن كل ما يُضافُ إليه سبحانه يكونُ غيرَ مماثلٍ لما يُضافُ إلى شيء من المخلوقاتِ ومن اعتقد أن له يداً كيد شيء منها أو عيناً كذلك فهو ممن غلبَ عليه الوهمُ

(١) سورة طه، الآية : ٥ .

(٢) سورة الفتح، الآية : ١٠ .

(٣) سورة ص، الآية : ٧٥ .

(٤) سورة الطور، الآية : ٤٨ .

إذ شبه الله بخلقه وهو ليس كمثلته شيء.

س: إلى من ينسب ما ذكرته في معنى الاستواء واليدين والأعين؟

ج: يُنسب ذلك إلى جمهور السلف^(١). وأما الخلف فأكثرهم يُفسرون الاستواء بالاستيلاء واليد بالنعمة أو القدرة، والأعين بالحفظ والرعاية، وذلك لتوهم كثير منهم أنها إن لم تؤوّل وتُصرف عن ظاهرها وأهملت التشبيه وقد

(١) هذه الآيات الكريمة التي ثبتت إضافة اليد، واليدين، والأعين، إلى الله سبحانه وتعالى وكذلك الأحاديث الشريفة الثابتة عن رسول الله ﷺ، توهم بظاهر ألفاظها وتعايرها: الجهة، والجسمية، والجوارح، والأعضاء، والتميز في المكان، لكن الواقع، أن هذه النصوص من نوع المتشابه الذي ذكره الله عز وجل بقوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ. وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [سورة آل عمران: ٧]. والمتشابه كل نص تجاذبته الاحتمالات حول معناه، وأوهم بظاهرة ما قامت الأدلة على نفيه. هذا وقد وردت آيات محكمات قاطعة في دلالتها لا تحتمل إلا معناها الواضح الصريح كقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وقوله ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾. وعلى المؤمن اتباع النصوص المحكمة وبناء عقيدته بموجبها، ومن ثم فهم ويقف على معنى النصوص المتشابهة على ضوئها، وقد ذهب علماء المسلمين في موقفهم من النصوص المتشابهة إلى مذهبين:

١ - الأول: تمسك به السلف الصالح رضي الله عنهم وهو: عدم الخوض في أي تأويل أو تفسير مفصل لهذه النصوص، والاكتفاء بإثبات ما أثبتته الله جل وعلا لذاته، مع تنزيهه سبحانه عن كل نقص ومشابهة للحوادث على نحو يليق بكماله، ومن المأثور عنهم - أي السلف - قولهم أمرؤها بلا كيف [الترمذي في السنن، باب فضل الصدقة].

٢ - الثاني: جاء به الخلف وهم الذين جاؤوا من بعدهم، إذ أولوا هذه النصوص بما يجعلها تتفق من كل الجوانب والنصوص المحكمة التي تقطع بتنزه الله عن الجهة والمكان والجارحة.

وقد أخذ بالمذهب الثاني كثير من العلماء من الذين شهدنا فضلهم، وعلو باعهم في العلم والتقى والورع والتحقيق كأمثال شيخنا الشيخ مُلّا رمضان البوطي وابنه عالم دمشق الدكتور محمد سعيد، وذلك بالإضافة إلى يقينهم بصحة المذهب الأول.

اتَّفَقَ الفريقان على أن المشبَّه ضال وغيرهم يقولون إنَّما تُوهَمُ التشبيه لو لم يدلَّ العقل والنقل على التنزيه، فمن شبَّه فيمن نفسه أتي.

س: كيف ثبت شيئاً ثم نقول: «الكيف فيه مجهول».

ج: هذا غير مُستغرب فإننا نعلم أن نفوسنا مُتَّصِفَةٌ بصفات كالعلم والقدرة والإرادة، مع أننا لا نعلم كيفية قيام هذه الصفات بها، بل إننا نَسْمَعُ ونُبْصِرُ ولا نعلم كيفية حصول السَّمْعِ والإبصار بل إننا نتكلَّمُ ولا نعلم كيف صَدَرَ مِنَّا الكلام. فإن علمنا شيئاً من ذلك فقد غابت عنا أشياء، مثل هذا لا يُحصى. فإذا كان هذا فيما يُضاف إلينا فكيف الحال فيما يُضاف إليه سبحانه.

س: أي المذهبين أرجح؟

ج: مذهب السلف أرجح لأنه أسلم وأحكم، وأما مذهب الخلف فإنما يَسُوغُ الأخذ به عند الضرورة، وذلك فيما إذا خشي على بعض الناس إن لم تُؤوَّلْ لهم تلك الكلم أن يَقَعُوا في مهواة التَّشْبِيهِ فيؤوَّلْ لهم ذلك تأويلاً سائِغاً في اللغة المشهورة.



المبحث الثاني في الإيمان بالملائكة ويشتمل على ثلاث مسائل

س: ما الملائكة؟

ج: هم أجسامٌ لطيفةٌ مخلوقة من نور^(١) لا يأكلون ولا يشربون وهم عبادٌ مكرّمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون^(٢).

س: هل يرى البشر الملائكة؟

ج: لا يرى البشرُ «غيرُ الأنبياء» الملائكة إذا كانوا على صورهم الأصلية لأنهم أجسامٌ لطيفة كما أنهم لا يرون الهواء مع كونه جسماً مائلاً للفضاء لطيفاً، وأما إذا تشكلوا بصورة جسم كثيف كالإنسان فيرونهم^(٣)، ورؤية

(١) ودليل ثبوت وجودهم قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦] ﴿كُلُّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾
[البقرة: ٢٨٥] وقوله جل شأنه: ﴿يُنزِلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢]. ودليل أنهم مخلوقون من نور
الحديث الشريف عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «خلقت الملائكة من
نور، وخلق الجن من نار، وخلق آدم مما وصف لكم» [رواه مسلم].

(٢) انظر قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَ اللَّهِ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء:
٢٦] وقوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غُلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ
مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

(٣) ثبت ذلك بقول الله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧] وكما
جاء في الحديث الشريف عن عمر رضي الله عنه عندما جاء جبريل إلى النبي ﷺ بصورة==

أنبياء لهم على صورهم الأصلية خصوصيةً تحُصوا بها لتلقى المسائل الدينية والأحكام الشرعية، ولا يُستغرب وجود أجسام بيننا لا نراها بالعين، وفي المعتاد ما يُقرب ذلك للذهن ويرفع عنه العَيْن^(١) فإن أماننا كثيراً من الأجسام الحية وغير الحية لا يدركها البصر. ولولا النظارة^(٢) لظننا أنها ليس لها عين ولا أثر. كما لا يستغرب اختصاص البعض بإبصار أشياء لا تُدركها سائر الأبصار فإن في اختلاف الأبصار في قوة الإدراك وضعفه عبرة لأولي الأبصار.

س: ما وظائف الملائكة؟

ج: مِنَ الملائكة رُسُلٌ بينَ المولى سبحانه وتعالى وبين أنبيائه ورُسله^(٣)، كجبرائيل عليه السلام. ومنهم حَفَظَةٌ على العباد^(٤). ومنهم مَنْ يَكْتُبُ أعمال العباد من خير أو شر^(٥). ومنهم موكَّلون بالجنة ونعيمها. ومنهم موكلون

== «رجل شديدُ بياض الثياب، شديدُ سواد الشعر، ليس عليه أثر السفر» ولا يعرفه منهم أحد.
(١) العَيْن: هو السحاب، وغين على قلبه: غطي عليه وألبس وغشي، وفي الحديث الشريف: «إنه ليغان على قلبي حتى استغفر الله في اليوم سبعين مرة» [البخاري في الدعوات باب استغفار النبي ﷺ]. (لسان العرب: ١٠٣٩/٢).

(٢) أي أجهزة التكبير كالمجهر والتلسكوب.

(٣) انظر قول الله تعالى: «يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ» [غافر: ١٥].

(٤) دليله قوله تعالى: «لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ» [الرعد: ١١].

(٥) ثبت بدليل قوله تعالى: «إِذْ يَنْفَخُ الْمُنْفَخَاتِ عَنِ الْجِبِينَ وَعَنِ السَّمَالِ قَعِيدٌ. مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ» [ق: ١٨].

(٦) دليله قول الله تعالى: «جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا، وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ» [الرعد: ٢٣]. وقوله جل شانه: «وَيَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفِيحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ» [الزمر: ٣].

بالنار، وعذابها^(١). ومنهم حَمَلَةُ العرش^(٢). ومنهم قائمون بمصالح العباد
ومنافعهم^(٣). إلى غير ذلك مما أمروا به.

(١) ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ، لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ، لَوَاحِةً بِلَيْسَرٍ، عَلَيْهَا تِسْعَةُ
عَشْرَ، وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً، وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾
[المدثر: ٢٧] وقوله تعالى: ﴿سَنَدْعُ الرِّبَّانِيَّةَ﴾ [العلق: ١٨].

(٢) ودليله قول الله تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا، وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾
[الحاقة: ١٧].

(٣) ودليله قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام: ٦١] وقوله
جل شانه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرَطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١].



المبحث الثالث

في الإيمان بكتبه سبحانه وتعالى

س : كيف الاعتقاد بكتب الله تعالى ؟

ج : اعتقد أن الله تعالى كتباً أنزلها على أنبيائه^(١)، وبين فيها أمره ونهيه ووعدته ووعدته. وهي كلام الله تعالى حقيقةً بدت منه بلا كيفية قولاً^(٢)، وأنزلها وحياً^(٣). من تلك الكتب التوراة والإنجيل والزبور والقرآن.

س : كيف اعتقادك بالتوراة ؟

ج : اعتقد أن التوراة كتاب من كتب الله سبحانه وتعالى أنزله على كليمة موسى عليه السلام. وذلك لبيان الأحكام الشرعية، والعقائد الصحيحة المرضية، والتبشير بظهور نبي من بني إسماعيل وهو نبينا عليه الصلاة والسلام^(٤)، والإشارة إلى أنه يأتي بشرع جديد يهدي إلى دار

(١) دليبه قول الله تعالى: ﴿أَمَرَ الرُّسُولَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ، كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، لَا تَفَرَّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

(٢) دليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَرَسُولًا قَدْ قَضَصْنَاكُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ، وَرَسُولًا لَمْ نَقْضِصْهُمْ عَلَيْكَ، وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

(٣) دليبه قول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآدَمَ دَاوُدَ زُيُورًا﴾ [النساء: ١٦٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤].

(٤) دليبه قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا

السلام^(١).

س: كيف اعتقاد العلماء الأعلام في حق التوراة الموجودة الآن في أيدي أهل الكتاب؟

ج: اعتقاد العلماء الأعلام أن التوراة الموجودة الآن قد لحقها التحريف^(٢)، وما يدل على ذلك أنه ليس فيها ذكر الجنة والنار وحال البعث والحشر والجزاء. مع أن ذلك أهم ما يذكر في الكتب الإلهية. وما يدل أيضاً على كونها محرّفة ذكر وفاة موسى عليه السلام فيها في الباب الأخير منها والحال أنه هو الذي أنزلت عليه.

س: كيف اعتقادك في الزبور؟

ج: أعتقد أن الزبور كتاب من كتب الله سبحانه وتعالى أنزله على سيدنا داود عليه السلام، وهو عبارة عن أدعية وأذكار ومواظ و حكم. وليس فيه أحكام شرعية لأن داود عليه السلام كان مأموراً باتباع الشريعة الموسوية^(٣).

بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿ آل عمران: ٢، ٣ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَكَيْفَ يُحْكِمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٤٣].

(١) دليله قول الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

(٢) دليله قول الله تعالى: ﴿ فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعْنَتُهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِمْ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ... ﴾ [المائدة: ١٣].

(٣) دليله قوله تعالى: ﴿ وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾ [النساء: ١٦٣].

س: كيف اعتقادك في الانجيل؟

ج: أعتقد أن الإنجيل كتاب من كتب الله سبحانه وتعالى أنزله على المسيح عيسى عليه السلام، وذلك لبيان الحقائق، ودعوة الخلق لتوحيد الخالق، ونسخ بعض أحكام التوراة الفرعية على حسب الاقتضاء، والتبشير بظهور خاتم الأنبياء^(٣).

س: كيف اعتقاد العلماء الأعلام في الانجيل المتداول الآن؟

ج: اعتقاد العلماء أن الإنجيل المتداول الآن له أربع نسخ ألفها أربعة بعضهم لم ير المسيح عليه السلام أصلاً وهم متى^(٢) ومرقص^(٣) ولوقا^(٤) ويوحنا^(٥). وإنجيل كل من هؤلاء مناقض للآخر في كثير من المطالب. وقد كان للنصارى أناجيل كثيرة غير هذه الأربعة، لكن بعد رفع سيدنا عيسى عليه السلام إلى السماء بأكثر من مائتي سنة عولوا على إلغائها ما عدا هذه

(١) دليله قول الله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتِيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ مُّصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦]. وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف: ٦].

(٢) هو أحد حواربي عيسى المسيح - عليه السلام - الاثني عشر، جال في البلاد مبشراً حتى وصل الحبشة فأقام فيها نحواً من ثلاث وعشرين سنة إلى أن قتل سنة ٧٠ م أو ٦٢ (عن مصادر مسيحية).

(٣) يقال إن اسمه يوحنا، ومرقص لقبه، ليس من الحواريين، لازم خاله برنابا، قتل في سجنه سنة ٦٢ م، قيل لأنه كان ينكر ألوهية المسيح - عليه السلام -.

(٤) ولد في أنطاكية، درس الطب ونجح فيه، لم ير المسيح - عليه السلام - ولم يسمع منه. لازم بولس (المسمى بالرسول) والمعروف بتحريفه الديانة النصرانية جملة وتفصيلاً، وقد حدثت أكثر المجازر ومراكز التعذيب بتخطيطه فقد كان يهودياً من الفريسيين.

(٥) وهو أحد الحواريين الاثني عشر، مات في أفسس بعد اضطهاد شديد على أقوال، أقر بها.

٦٥ م

الأربعة تخلصاً من كثرة التناقض، وتخلصاً من وفرة التضاد والتعارض^(١).

س: كيف اعتقادك في القرآن؟

ج: أعتقد أن القرآن أشرف كتاب أنزله الله سبحانه وتعالى على أشرف أنبيائه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وهو آخر الكتب الإلهية نزولاً، وهو ناسخٌ لجميع الكتب قبله وحكمه باقٍ إلى يوم القيامة^(٢). لا يمكن أن يلحقه تغييرٌ ولا تبديل^(٣) وهو أعظم آية على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم لكونه أعظم المعجزات^(٤).

س: لأي شيء كان القرآن الكريم أعظم المعجزات؟

ج: إنما كان القرآن أعظم المعجزات لكونه آية عقلية باقية مدى الدهر، تشاهد كل حين بعين الفكر، وسواء من المعجزات انقضت بانقضاء وقتها فلم يبق منها أثرٌ غير الخير ووجه إعجازه أنه بلغ في الفصاحة والبلاغة إلى حدٍ خرج عن طوق البشر فإن النبي عليه الصلاة والسلام تحدى به العرب العرباء وهم أفصح الأمم لساناً وأوضحهم بلاغةً وبياناً. وقد وصلوا في عصره في البلاغة وفصل الخطاب، لحالٍ يحير العقول ويدهش الألباب، وبقي فيهم ثلاثة وعشرين عاماً وهو يتحداهم بالقرآن^(٥) أعظم تحدٍ،

(١) وذلك في مجمع نيقيا سنة ٣٢٥ م حيث اجتمع عددٌ كبير من البطارقة والأساقفة، وبعد جدل طويل ونقاشات حادة توصلوا إلى الإذعان للملك قسطنطين والذين قالوا بالوهمية المسيح. ونسخ جميع الأناجيل عدا الأربعة المذكورة.

(٢) دليله قول الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّبًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٨].

(٣) دليل ذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ الْفَاعِلُونَ﴾ [الحجر: ٩].

(٤) دليل ذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣].

(٥) دليله قوله تعالى: ﴿قُلْ لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، ولقد صرّفنا للناس في هذا القرآن من كلِّ مثلٍ =

ويتصدى لتقريعهم به وإثارة هممهم للتعرض للمعارضة أعظم تصدي: فتارة يطلب منهم الإتيان بمثل سورة من القرآن. وأن يستعينوا بمن شاعوه من الإنس والجان، وتارة يسمهم بالعجز عن ذلك، وعدم قدرتهم على سلوك تلك المسالك. وهم ذو النفوس الأبية، وأهل الحمية والعصية فعجزوا عن ذلك عن آخرهم وتركوا المعارضة بالكلام إلى المعارضة بالحسام وعَدَلُوا عن المقابلة باللسان، إلى المقاتلة باللسان وحيث عجز عرب ذلك العصر فَمَنْ سِوَاهُمْ يكون أعجز في هذا الأمر، وقد مضى إلى الآن أكثر من ألف وثلاثمائة عام، ولم يوجد أحد من البلغاء إلا وهو مسلمٌ أو ذو استسلام. فدلَّ على أنه ليس من كلام البشر، بل هو كلامٌ خالقِ القوى والقدر^(١). أنزله تصديقاً لرسوله، وتحقيقاً لمقوله^(٢). وهذا الوجه وحده كافٍ في الإعجاز وقد انضم لهذا الوجه أوجه: أحدها: إخباره عن أمورٍ مغيبةٍ ظهرت كما أخبر. ثانيها: أنه لا يَمَلُّ السَّمْعُ مهما تكرر. ثالثها: جمعه لعلوم لم تكن موجودة عند العرب

فَأَنَّى أَكْثَرَ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿الاسراء: ٨٨، ٨٩﴾.

وانظر قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعُ أَبْحُرٍ مَا نَفَذْتُ كَلِمَتَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧].

(١) وقد اطلعت مؤخراً على كتاب فريد من نوعه يثبت إعجاز القرآن الكريم وأنه لا محالة من عند الله عز وجل وأن البشر مهما أوتوا من قوى واختراعات عاجزون تماماً عن الاتيان ببعضه فضلاً عن إحصاء أوجه إعجازه، وقد عرض الكتاب ببعض التفصيل لتطابق بعض الآيات وعدد حروفها مع أحدث النظريات الرياضية والتناسق والتكامل بشكل يهر الأبصار بين معاني بعض الآيات ونتائج عمليات رياضية بحتة، استعان مؤلف الكتاب لإخراجها وتوضيحها إلى حاسبات الكترونية فضلاً عن كونه من جملة شهادة الدكتوراة في العلوم الكونية

(٢) انظر قوله تعالى: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ. وَمَا لَا تُبْصِرُونَ. إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ. وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ. وَلَا يَقُولُ كَآهِنٍ قَلِيلًا مَا تَدْعُرُونَ. تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ. لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ. ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ. فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَنِيزِينَ. وَإِنَّهُ لَتَذِكْرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ. وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ. وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [سورة الحاقة من الآية ٣٨ إلى ٥٠].

والعجم . رابعها : إنبأؤه عن الوقائع الخالية وأحوال الأمم . والحال أن من أنزل عليه (عليه الصلاة والسلام) كان أمياً لا يكتب ولا يقرأ ، لاستغنائه عن ذلك بالوحي ، وليكون وجه الاعجاز بالقبول أحرى .



المبحث الرابع في الإيمان بالرسول عليهم الصلاة والسلام

س : كيف اعتقادك برسول الله تعالى؟

ج : أعتقد أن لله رُسلًا أرسلهم رحمة منه وفضلاً : مبشرين للمحسن بالثواب، ومُنذرين للمسيء بالعقاب^(١). ومُبينين للناس ما يحتاجون إليه من مصالح الدين والدنيا، ومُفِيدين لهم ما يملكون به الدرَجَة العليا^(٢) وأيدهم بآياتٍ ظاهرةٍ ومعجزاتٍ باهرةٍ أولهم آدمٌ وآخرهم نبيُّنا محمدٌ عليهم الصلاة والسلام.

س : ما معنى النبي؟

ج : النبيُّ إنسانٌ^(٣) أوحى إليه بشرعٍ وإن لم يُؤمر بتبليغه فإن أمر بتبليغه سُمِّيَ رسولاً أيضاً فكلُّ رسولٍ نبيٌّ وليس كلُّ نبيٍّ رسولاً.

(١) دليله قول الله تعالى : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر : ٢٤].

(٢) دليل ذلك قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطُّغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فسيروا في الأرضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ﴾ [النحل : ٣٦].

(٣) فلا بد أن يكون ذكراً، ثبت ذلك بدليل قوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ...﴾ [الأنبياء : ٧]، وبشراً، لقوله تعالى : ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ إِن نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُنْزِلُ عَلَيْنَا مَنِّ سَاءَ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [إبراهيم : ١١].

س: كم عدد الأنبياء؟

ج: لا يُعلم عددهم على اليقين^(١). والمذكور أسماءهم في الكتاب العزيز خمسة وعشرون^(٢) وهم: آدم، إدريس، نوح، هود، صالح، إبراهيم، لوط، إسماعيل، إسحاق، يعقوب، يوسف، أيوب، شعيب، موسى، هرون، ذو الكفل، داود، سليمان، إلياس، اليسع، يونس، زكرياء، يحيى، عيسى، محمد عليهم الصلاة والسلام، وهم رسل أيضاً.

س: ما المعجزة؟

ج: المعجزة أمرٌ خارقٌ للعادة يظهر على يد مدعي النبوة موافقاً لدعواه، على وجهٍ يُعجزُ المنكرين الإتيان بمثله.

(١) روى الإمام أحمد في مسنده عن أبي ذر الغفاري - رضي الله عنه - أنه قال: قلت يارسول الله أي الأنبياء كان أول؟ قال: «آدم». قلت: يارسول الله ونبي كان؟ قال: «نعم نبي مكرم». قلت: يارسول الله كم المرسلون؟ قال: «ثلاث مائة وبضعة عشر، جماعاً غفيراً». وفي رواية أبي أمامة قال أبو ذر قلت يارسول الله: كم وفاء عدة الأنبياء؟ قال: «مائة ألف وعشرون ألفاً، الرسل من ذلك ثلاث مائة وخمسة عشر جماعاً غفيراً».

(٢) وهؤلاء يجب الاعتقاد بنبوته تفصيلاً، ولا يجوز للمسلم أن يجهل كون أحدهم نبياً، وقد جمعت أسماء ١٨ رسولاً الآية الكريمة: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ، إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ. وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، كُلًّا هَدَيْنَا، وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ، وَمَن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ، وَسُلَيْمَانَ، وَأَيُّوبَ، وَيُوسُفَ، وَمُوسَى، وَهَارُونَ، وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى، وَعِيسَى، وَإِلْيَاسَ، كُلًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ وَإِسْمَاعِيلَ، وَالْيَسَعَ، وَيُونُسَ، وَلُوطًا، وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ. وَمِن آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَأَخْوَانِهِمْ، وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٨٣ - ٨٧] وقد جمعت أسماء بقية الرسل في بيتين من الشعر:

في تلك حُجَّتُنَا مِنْهُمْ ثَمَانِيَةٌ مِنْ بَعْدِ عَشْرٍ، وَيَقِي سَبْعَةٌ وَهَمُّوْا
إِدْرِيْسَ، هُوْدَ، شَعِيْبَ، صَالِحَ وَكَذَا ذُو الْكُفْلِ، آدَمَ، بِالْمُخْتَارِ قَدْ خْتَمُوْا

س: ما الحكمة في إظهار المعجزة على أيدي الأنبياء؟

ج: الحكمة في إظهار المعجزة على أيدي الأنبياء الدلالة على صدقهم فيما ادَّعوه^(١): إذ كلُّ دَعْوَى لم تقترن بدليلٍ فهي غيرُ مسموعة، والتمييز بينهم وبين من يدعي النبوة كاذباً وهي قائمة مقام قولِ الله تعالى (صَدَقَ عَبْدِي فيما يدعي)^(٢).

س: ما وجه دلالة المعجزة على صدق الأنبياء، وكونها قائمة مقام قول

الله تعالى: «صدق عبدي»؟

ج: وجه دلالة المعجزة على صدق الأنبياء يظهر من هذا المثال - ولله المثل الأعلى - وهو أنه لو قام أحدٌ من الناس في محفلٍ عظيمٍ بمحضِر ملكٍ كبيرٍ حكيمٍ وقال: أيها الناس: إني رسولُ هذا الملكِ إليكم. وموئنته لديكم. أرسلني لأبلغكم أوامره، وهو عالمٌ بمقالتِي وسامعٌ لكلامي ومُبصرٌ لي. وآية صدقي أن أطلب منه أن يخرقَ عادتهُ ويخالقها فيجيبني إلى ذلك ثم قال للملك إن كنتُ صادقاً في دعواي فاخرقْ عادتكِ وقُم ثلاثَ مراتٍ متوالياتٍ. ففعل الملك ذلك. فإنه يحصلُ للجماعة علمٌ ضروري بصدقه في مقالته، وقامَ خرقُ الملك لعادته مقام قول الملك قد صدقَ فيم ادَّعاه ولم يشكْ أحدُ أنه رسولُ الملك. والأنبياء عليهم السلام قد ادعوا إرسالَ الله تعالى لهم للبشر، وهو عالمٌ بدعواهم. سامعٌ لهم. ناظرٌ إليهم. فإذا طلبوا من الله تعالى إظهارَ المعجزات التي ليس في طاقة البشر أن يأتوا بمثلها فأعلنهم على ذلك وأقدرهم عليها كان ذلك تصديقاً لهم منه فعلاً وهو كالتصديق بالقول بل أولى.. وهو يستلزم صدقهم في دَعْوَى الرسالة لأن تصديق المولى الحكيم العليم القادر للكاذب أمرٌ ظاهرٌ الاستحالة. لا سيما. وقد انضمَّ إلى دلالة المعجزات على

(١) «ما من نبي إلا وأوتي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر. وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحى إليّ، فأنا أرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة».

(٢) حديث قدسي.

صدقهم دلالة ما اشتهر عنهم من الصفات والأحوال. التي هي في غاية الحسنِ ونهاية الكمال^(١).

س: ما الفرق بين المعجزة والسحر؟

ج: السحر أمرٌ خارقٌ للعادة في بادئ الرأي تمكن معارضتهُ لأنه مبنيٌ على أسباب من عرفها وتعاطاها حصلَ على يده ذلك الأمرُ. فهو في الحقيقة ونفس الأمر غيرُ خارقٍ للعادة وغبابته إنما هي بالنظر لجهل أسبابه. وأما المعجزة فإنها خارقةٌ للعادة حقيقة لا يمكن معارضتها فلا يمكن الساحر أن يفعلَ مثلَ ما فعلَ الأنبياء من جعلِ الميتِ حيًّا. وقلبِ العصا حيةً ولذا آمنت سحرةُ فرعونَ بموسى عليه السلام لما صارت عصاهُ حيةً حقيقيةً وابتلعتُ عَصِيئَهُمْ وجبالَهُمْ لمعرفةهم بأن هذا مما لا يأتي بالسحر والسحر مصدره من نفسِ أمانة بالسوء تكونُ مظهرًا للفساد والمعجزة مصدرها من نفسِ زكيةٍ تكونُ مظهرًا للصلاح والارشاد^(١)

س: ما الفرق بين المعجزة والكرامة؟

ج: الكرامة: أمرٌ خارقٌ للعادة يظهرُ على يدِ الوليِّ فهي غيرُ مقرونة بدعوى النبوة وأما المعجزة فإنها تكون مقرونة بدعوى النبوة.

والوليُّ هو العارفُ بالله تعالى وصفاته حسب ما يمكنُ المواظبُ على الطاعاتِ، المجتنبُ للمعاصي والسيئاتِ، والمُعْرِضُ عن الانهماكِ في اللذاتِ والشهواتِ، وظهورُ الكرامةِ على يدهِ إكرامٌ له من ربه، وإشارةٌ لقبوله عندهُ وقُربُه، وهي كالمعجزة للنبي الذي يكون من أمته ذلك الوليِّ، إذ الوليُّ لا

(١) انظر قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَى ٦٥ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ٦٦ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ١٧ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ١٨ وَالْقِيَ مَآ فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَجِرٌ وَلَا يَقْلِحُ السَّاحِرَ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه: ٦٥ - ٦٨].

يكون ولياً حتى يكون مُقرأ برسالة رسوله ومُذعناً لأوامره غاية الإذعان^(١) ولو ادعى الاستقلال بنفسه ولم يتابع رسوله لم تظهر على يديه الكرامة ولم يكن ولياً للرحمن، بل يكون عدواً له وولياً للشيطان. كما يشير لذلك قوله تعالى خطاباً لنبينا عليه الصلاة والسلام في حق أقوام زعموا أنهم يحبون الله ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ

(١) لا شك أن الله عز وجل يكرم بعض عباده بالمال والبنين، وآخرين بالقوة وآخرين بالعقل والذكاء، فليس بمستبعد أن يكرم آخرين بإظهار بعض خوارق العادات على أيديهم، انظر قوله تعالى: ﴿واقتوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم﴾ [البقرة: ٢٨٢] وانظر قوله تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً. ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ [الطلاق: ٢، ٣] وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ [محمد: ٧] فلا شك أن الإكرام بما جاءت به الآيات من العلم والرزق والفرج والنصر هو أعظم من الإكرام بالمشي فوق الماء أو بطي المسافات بالخطى، لأن الأسماك والطيور تقوم بما هو أصعب من ذلك. ولعل أعظم كرامة هي كرامة الإيمان نسأل الله أن يثبتنا عليه. جاء في القرآن الكريم دلائل كثيرة على أن للأولياء كرامات منها:

١ - مريم - عليها السلام - قال الله تعالى عنها: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ [آل عمران: ٣٧] وقال تعالى: ﴿وهزني إليك بجزع النخلة تسقط عليك رطباً جنياً﴾ [مريم: ٢٥].

٢ - أصحاب الكهف، قال تعالى: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةَ إِلَى الْكَهْفِ فَعَالُوا رِزْقًا ءَاتَيْنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهِيَ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشْدًا ۝ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝ ثُمَّ بَدَأْتَهُمْ لِئَلَعَلَّ آئِي الْهَازِلِينَ أَخْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمدًا﴾ [الكهف: ١٠ - ١٢].

٣ - رجل عنده علم من الكتاب، قال تعالى: ﴿قال يا أيها الملا أيكم يأتيني بعرضها قبل أن يأتيوني مسلمين. قال عفريت من الجن أنا أتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين. قال الذي عنده علم من الكتاب أنا أتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر، ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم﴾ [النمل: ٣٨ - ٤٠].

٤ - أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وقد برأها الله عز وجل في آيات تتلى إلى يوم القيامة.

لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿١﴾.

س: ماذا يجب للأنبياء عليهم السلام؟

ج: يجب للأنبياء عليهم الصلاة والسلام أربع صفات وهي: الصدق^(٢)، والأمانة^(٣)، والتبليغ^(٤)، والفقانة^(٥)، ومعنى الصدق في حقهم كون خبرهم مطابقاً للواقع ونفس الأمر فلا يصدر منهم كذب أصلاً.

ومعنى الأمانة^(٣) في حقهم كون ظواهرهم وبواطنهم محفوظة من الوقوع فيما لا يرضي الحق، الذي اصطفاهم على سائر الخلق.

ومعنى التبليغ^(٤) كونهم يبينوا للناس كل ما أمرهم الله ببيانه أحسن بيانٍ فلم يكتموا من ذلك شيئاً.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٢.

(٢) دليله قول الله تعالى: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَىٰ اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتَكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الأعراف: ١٠٥] وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤] وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٧٠] وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٥]، وقوله تعالى: ﴿... قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِهِ نَفْسِي إِنْ أُتِيعَ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس: ١٥].

(٣) ودليله قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقِي عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ حُبْرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

(٤) دليله قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٦]، وقوله تعالى: ﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عِدْدًا﴾ [الجن: ٢٨].

ومعنى الفطانة (١) كونهم أكمل الخلق في النباهة والفهم.

س: ماذا يستحيل على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؟

ج: يستحيل على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أربع صفات. وهي الكذب (٢)، والعصيان، والكتمان، والغفلة وكذلك يستحيل عليهم كل صفة تُعدُّ عند النَّاسِ من العيوب وإن لم تكن من الذنوب، كدناءة الحرفة، أو النسب، أو تُنافي حكمة البعثة، كالصَّم والبكم.

س: إذا كان العصيان مستحيلاً في حق الأنبياء عليهم السلام فكيف

أكل آدم من الشجرة التي نهي عنها؟

ج: بطريق النسيان. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ (٣) والناسي غيرُ عاص ولا مؤاخذ. وأما نسبة العصيان إليه في قوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ. ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ (٤) فليُصَدِّقَ صورة المخالفة عنه بناء على النسيان الناشئ عن عدم التحفظ التام منه. والمخالفة التي تُصَدِّرُ نسياناً، لا تُعَدُّ في حقِّ الناسي عصيانياً وَعَدَّتْ معصيةً في حقِّ آدم نظراً لشرف رتبته، وعِظَم منزلته والخطأ الصغير يُستعظمُ من الكبير.

وأما مؤاخذه المولى سبحانه وتعالى لآدم على ذلك بإهباطه إلى هذه

(١) دليله قول الله تعالى: ﴿وجاد لهم بالتي هي أحسن﴾ [النحل: ١٢٥] وقوله تعالى: ﴿ولا تمجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه وقل رب زدني علماً﴾ [طه: ١١٤]، وقوله تعالى: ﴿قالوا يانوح قد جادلنافاكثر جدالنا﴾ [هود: ٣٢]، فالتعجيل بترديد آيات القرآن وعدم النسيان، والمجادلة أشياء تحتاج إلى فطانة كبيرة، ونباهة زائدة، وفهم عميق.

(٢) دليله قوله تعالى: ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل، لأخذنا منه باليمين، ثم لقطعنا منه الوتين، فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾ [الحاقة: ٤٤ - ٤٧].

(٣) سورة طه، الآية: ١١٥.

(٤) سورة طه، الآية: ١٢١.

الديار واعتراف آدم بالذنب، ومثابرته على الاستغفار، فذلك لتزداد درجته علواً، وثوابه وأجره ثمواً. ويقاسُ على ذلك ما يُنسب لسائر الأنبياء من الذنوب والمعاصي، فإنها ذنوبٌ بالإضافة إلى علوِّ مناصبهم، ومعاصٍ بالنسبة إلى كمال طاعتهم لا أنها كذنوبٍ غيرهم ومعاصيهم، لأنها صادرة منهم عليهم السلام إما على طريق التأوُّل، أو على طريق السُّهُو وعدم التعمُّد.

وأما اعترافهم بها واستغفارهم منها فلزيادة معرفتهم بمولاهم وشدة روعهم وتقواهم، وليزادوا أجراً وقربةً وعلواً في الدرجة والرتبة.

س: ماذا يجوز في حق الأنبياء عليهم السلام؟

ج: يجوز على الأنبياء عليهم السلام وقوع الأعراض البشرية، التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم العلية، كالأكل والشرب، والجوع، والعطش، واعتراء الحر والبرد، والتعب والراحة والمرض والصحة ومثل ذلك التجارة والاحتراف بحرفة من الحرف التي ليست ذنباً لأنهم بشر يجوزُ عليهم ما يجوز على البشر مما لا يؤدي إلى نقص^(١).

س: ما الحكمة في حقوق الأمراض والآلام بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام؟

ج: الحكمة في حقوق الأمراض والآلام بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع كونهم خير البرية. وكون ساحتهم من العيوب بريئة أن يعظم أجرهم ويظهر في طاعة الله تعالى ثباتهم وصبرهم. ولأجل أن تتأسى بهم الناس، إذا حلَّ بهم البلاء والبأس. ويعلموا أن الدنيا دارُ بلاء وامتحان، لا دارُ إكرام

(١) دليله قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَالِهِذَا الرَّسُولُ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ٧] وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠] وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨].

وإحسان. ولثلا يعتقد الألوهية أحد فيهم إذا رأى المعجزات الباهرة تَظْهَرُ على أيديهم ويعلم أن ذلك بإرادة الله تعالى وخلقه ليس غير، وأنهم وإن عَظُم قدرُهم وجلُّ أمرهم فهم عبيدٌ عاجزون عن جَلْبِ النفع ودفع الضرر.

س: ما خلاصة ما يجب أن نعتقد في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؟

ج: نعتقد أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مَوْصُوفُونَ بكلِّ صفة تزين. ومُبرَأُونَ في الظاهر والباطن والفعل والقول عن كل أمر يشين. وأنهم يجوز أن تطرأ عليهم الأعراض البشرية التي لا تُؤدِّي إلى نقص في مراتبهم العلية. وأن الله اصطفاهم على العالمين وأرسلهم إليهم ليكونوا بأوامره وأحكامه عالمين. وأنهم لم يَختلفوا في أمر الدين لكونه أصلاً لتعلُّقه بالاعتقاد الذي لا يقبل التعدُّد والتحوُّل أصلاً وإنما اختلفوا في بعض أحكام الشريعة لكونها فرعاً، لتعلُّقها بالعمل الذي توجب الحكمة اختلافه باختلاف الأمم زماناً ومكاناً وحالاً وطبعاً.

س: كم صفة امتاز بها نبينا ﷺ عن سائر الأنبياء؟

ج: امتاز نبينا عليه الصلاة والسلام عن سائر الأنبياء بثلاث صفات^(١): الأولى أنه أفضل الأنبياء^(٢)، الثانية أنه أرسل إلى الناس كافة،

(١) الواقع أن نص حديث رسول الله ﷺ يؤكد أنه امتاز بأكثر مما ذكر المؤلف، ففي الحديث المتفق عليه: «أعطيت خمسا لم يُعْطهن أحد قبلي:

- ١ - كان كل نبي يبعث في قومه خاصة، وبعثت إلى كل أحر وأسود.
- ٢ - وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي.
- ٣ - وجعلت لي الأرض طيبةً طهوراً ومسجداً، فأبما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان.
- ٤ - ونصرت بالعرب بين يدي مسيرة شهر.
- ٥ - وأعطيت الشفاعة. (البخاري في التيمم وفي المساجد باب قول النبي ﷺ جعلت لي الأرض مسجداً وفي الجهاد: باب قوله أحلت لكم الغنائم، و لم أول كتاب المساجد برقم ٥٢١. وفي الصحيح البخاري في الاعتصام برتبت جوامع=

الثالثة أنه خاتمُ الأنبياء فلا يأتي بعده نبيٌّ .

س : لم كان نبينا عليه الصلاة والسلام خاتم الأنبياء؟

- ج : إنما كان نبينا عليه الصلاة والسلام خاتم الأنبياء لأن حكمة إرسال الأنبياء دعوة الخلق، إلى عبادة الحق، وإرشادهم إلى طريق السُّداد في أمور المعاش والمعاد. وإعلامهم بالأمور الغائبة عن أبصارهم. والأحوال التي لا

الكلم)، وفي صحيح مسلم في الفضائل : وأول من ينشق عنه القبر.

(٢) دليله الحديث الشريف الذي رواه الترمذي بسند حسن : «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، ويبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي، آدم فمن سواه، إلا تحت لوائي ولا فخر، وأنا أول شافع، وأول مشفع، وأنا أول من يحرك حلق الجنة، فيدخلنيها الله ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين على زي ولا فخر» وانظر الدارمي ٢٦/١ المقدمة.

فائدة : وقد صح عن رسول الله ﷺ برواية أبي سعيد الخدري : «لا تخيروا بين الأنبياء». [البخاري ٥٢/٥ في الخصومات باب ما يذكر في الأشخاص] وعن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال : «لا تُفصلوا بين أنبياء الله» البخاري ٥٢/٥ وليس معنى النبي عن التخيير أن يعتقد التسوية بينهم في درجاتهم، فإن الله عز وجل قد أخبرنا أنه فضل بعضهم على بعض، فقال سبحانه وتعالى : ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض﴾ [البقرة : ٢٥٣] بل معناه ترك التخيير على وجه الازدراء ببعضهم، والإخلال بالواجب من حقوقهم، فإنه يكون سبباً لفساد الاعتقاد في بعضهم، وذلك كفرٌ.

فإن قيل : قد روي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «لا تُفصلوا بين أنبياء الله، ولا أقول : إن أحداً أفضل من يونس بن متى» [البخاري في الأنبياء : باب قول الله تعالى ﴿وإن يونس . . .﴾ ومسلم برقم (٢٣٧٣) . وعن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال : «ما ينبغي لعبد أن يقول : إني خيرٌ من يونس بن متى» أخرجه البخاري في الأنبياء، ومسلم برقم (٢٣٧٧)، فكيف وجه الجمع بين هذا وبين قوله عليه السلام : «أنا سيدٌ ولد آدم» .

قيل : التوفيق بين الحديتين واضحٌ، وذلك أن قوله : «أنا سيد ولد آدم» إنما هو إخبارٌ عما أكرمه الله به من الفضل والسؤدد، وتحديث بنعمة الله عليه، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾ [الضحى : ١١] . وإعلامٌ لامته وأهل دعوته علو مكانه عند ربه، وكان بيان ذلك للأمم من اللازم المفروض عليه، ليكون إيمانهم به على حسب ذلك (البغوي : شرح السنة ١٣/٢٠٤، ٢٠٥).

يصلون إليها بأفكارهم وتقرير الأدلة القاطعة وإزالة الشبهة الباطلة. وقد تكفلت شريعته الغراء ببيان جميع هذه الأشياء على وجه لا يتصور أبلغ منه في الكمال، بحيث توافق جميع الأمم في جميع الأزمنة والأمكنة والأحوال، فلا حاجة للمخلوق إلى نبي بعده، لأن الكمال قد بلغ حدّه. ومن هذا يظهر سر إرساله لجميع الخلق وكونه أكملهم في الخلق والمخلوق.

س: كيف يقال إن نبينا عليه الصلاة والسلام خاتم الأنبياء مع أن عيسى عليه السلام ينزل في آخر الزمان؟

ج: إن عيسى عليه السلام ينزل في آخر الزمان، ويحكم بشريعة نبينا عليه السلام دون شريعته. لأن شريعته هو قد نسخت لمضي الوقت الذي كان العمل بها موافقاً لمقتضى الحكمة فيكون كخليفة لنبينا عليه السلام، وراثياً عنه في إجراء شريعته في هذه الأمة، وذلك مما يؤكد كون نبينا خاتم الأنبياء.

س: اذكر لي معجزات نبينا عليه الصلاة والسلام.

ج: إن معجزات نبينا محمد عليه الصلاة والسلام كثيرة: فمن معجزاته القرآن الكريم، وهو أعظم آياته وأكبرها، وأبهاها وأبهرها، وقد سبق ذكر وجه إعجازه وأنه آية باقية دائماً لكون من أتى بها للأنبياء خاتماً.

ومن معجزاته نبع الماء من بين أصابعه في حال السفر حين اشتدّ العطش بأصحابه الكرام ولم يكن إلا ماء قليل، فوضع كفه الكريمية فيه فكثر حتى قضى الحاضرون أوطارهم منه وزاد عليهم^(١). وهذا وقع مراراً.

(١) في الحديث المتفق عليه «عن جابر رضي الله عنه قال: عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة [إناء للماء من الجلد] فتوضأ منها، ثم أقبل الناس نحوه، قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ به ونشرب إلا ما في ركوتك، فوضع النبي ﷺ يده في الركوة، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون، قال: فشرينا وتوضأنا. قيل لجابر كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة.»

ومن معجزاته تكثير الطعام القليل حتى كفى أناساً كثيرين . وهذا وقع أيضاً مراراً . إلى غير ذلك مما ذكر في كتب^(١) «دلائل النبوة» .

س : كيف كانت سيرة نبينا عليه الصلاة والسلام؟

ج : قد وقع الإجماع والاتفاق على أن سيرة نبينا عليه الصلاة والسلام أحسن السير على الإطلاق، وقد أقر بحسنها الكفار، وكيف لا وهي كالشمس في رابعة النهار. وقد ذكر أهل السير أنه عليه الصلاة والسلام كان أشرف الناس نسباً وأعلامهم حسباً. يصل الرّجَم ويغيث المضطّر، كثير التحمل والإغضاء والصبر. دأبه العفو والصفح والرفقة والرّفق. لا ينتقم إلاّ فيما فيه حقّ الحقّ أو حقّ الخلق. وكان كثير السكوت لتفكيره في أسرار الملكوت. وإذا تكلم أتى بجوامع الكلم وهي الكلمات القليلة التي تتضمن معاني كثيرة من باهر الحكم وكان أفصح الناس بياناً يمزح بعض الأحيان ولا يقول في مزحه إلاّ حقاً، وكان واثقاً بعصمة الله له في كلّ حال، يقدم حين تحجم الأبطال، ويثبت على حاله لدى جميع الأهوال، وكان شديد التواضع، وكان مع تواضعه وبشاشته ذا هيبة لم تكن لغيره من البشر، حتى لم يكن أحد من أصحابه يؤكد في وجهه الكريم النظر وكانوا في مجلسه في غاية الأدب كأنما على رؤوسهم الطير. لا يقطع أحد منهم كلام أحد. ولا تذكر في مجلسه العيوب. وكان المشركون من صباه يلقّبونه بالأمين بعد ادعائه النبوة لم يجد أعداؤه مع شدة عداوتهم له وحرصهم على الطعن فيه مطعناً، ولا إلى القذح فيه سبيلاً، وكان يعلم الناس الحكمة والأحكام، ويدعوهم إلى دار السلام، وقد كمل من أتبعه في الفضائل العلمية والعملية، ومن لم يتبعه سرى له شيء

(١) ذكر كلمة (كتب) بالجمع لأن هنالك عشرات الكتب تحت اسم «دلائل النبوة» وقد أعانني الله تعالى على تحقيق أحدهما وهو لأبي نعيم صاحب كتاب «الحلية» والذي تقوم دار عالم الكتب بطبعه ليس من تحقيقي مع أنها قد وضعت اسمي عليه، وتقوم الآن دار الكتب العامة بطبع دلائل النبوة للبيهقي بتحقيق أحد العلماء في مصر.

من ذلك بطريق العرض والتبعية .

وقد أظهر الله دينه على سائر الأديان وأبقى ذكره الجميل على لسان
مُوافقيه ومخالفيه مدى الزمان، ومنّ طالع كتب سيرته المشتمة على أخلاقه
العظيمة الباهرة عرف أنه أشرفُ العالمين في الأوصافِ الباطنة والظاهرة ﷺ .

* * *



المبحث الخامس في الإيمان باليوم الآخر

س: ما اليوم الآخر، وما معنى الإيمان به؟

ج: أما اليوم الآخر، فهو يوم عظيم الأهوال، تشيب فيه الأطفال. تقوم الناس فيه من قبورهم، ويحشرون إلى صعيد واحد للحساب، ثم يؤول أمرهم إلى النعيم أو العذاب^(١).

وأما الإيمان به فهو التصديق بأنه لا بد أن يأتي^(٢) وأن يظهر فيه جميع ما ورد في القرآن والحديث في شأنه.

(١) انظر قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْهَا
تَدْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى
وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١ - ٢] وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ
الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ... وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ
يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج: ٦ - ٧] وقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ
إِنَّا لَا نُزْجِمُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥] وقوله جل شأنه: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ
أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَخْيَاهُمْ وَمَمَانَهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾
[الجنات: ٢١] وقوله جل وعلا: ﴿أَبْحَسِبَ الْإِنْسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى. أَلَمْ يَكْ نُطْفَعْ مِنْ مَنِي
يُمْنَى. ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فُخْلَقَ فَنَسُوءَى. فَجَعَلْ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى. أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ
أَن يُخَيِّرَ الْمَوْتَى﴾ [القيامة: ٣٦ - ٤٠].

(٢) دليله قوله الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ
رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

س : ماذا تعتقد في اليوم الآخر وما يتعلق به؟

ج : أعتقد أولاً بسؤال القبر، ثم بنعيمه أو عذابه^(١)، ثم بحشر

(١) أفردت كتب الحديث فصلاً خاصاً بهذا الموضوع ونراه تحت عناوين شتى، مرة باسم كتاب القيامة ومرة باسم كتاب القبر، وغير ذلك، وقد أكثر الرسول عليه الصلاة والسلام من التعوذ من عذاب القبر وخاصة ما نعرفه من أدعية الصلاة قبل التسليم، وأورد حديثاً جامعاً فيه الدليل والعظة والعبرة، لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد، عن البراء بن عازب قال: «خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فالتفتنا إلى القبر ولما يلحد، فجلس رسول الله ﷺ مستقبل القبلة، وجلسنا حوله، وكان على رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكت في الأرض، فجعل ينظر إلى السماء، وينظر إلى الأرض، وجعل يرفع بصره ويخفضه، ثلاثاً، فقال: استعيذوا بالله من عذاب القبر، مرتين، أو ثلاثاً، ثم قال: اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ثلاثاً، ثم قال:

إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء، بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة (وفي رواية: المطمئنة)، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيلاً كما تسيل القطرة من في السقاء، فأخذها، (وفي رواية: حتى إذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض، وكل ملك في السماء، وفتحت له أبواب السماء، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله أن يعرج بروحه من قبلهم)، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط، فذلك قوله تعالى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرَطُونَ﴾، [الأنعام: ٦١] ويخرج منها كأطيب نفضة مسك وجدت على وجه الأرض، قال: فيصعدون بها فلا يمرون - يعني - بها على ملام من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان ابن فلان - بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له، فيفتح لهم، فيشيعه من كل سماء مقرَّبوها، إلى السماء التي تليها، حتى ينتهي به إلى السماء السابعة، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عِلين، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلْيُونَ. كِتَابٌ مَرْقُومٌ. يَشْهَدُهُ الْمُرْسِيُّونَ﴾، [المطففين: ١٩ - ٢١] فيكتب كتابه في عِلين، ثم يقال: أعيدهو إلى الأرض، فإني وعدتهم أنني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى، قال: فيرد إلى الأرض، وتعاد روحه في جسده، قال: فإنه يسمع خفق نعال أصحابه إذا ولوا عنه مدبرين، فيأتيه ملكان شديداً الانتهاز فينتهرانه، ويجلسانه =

فيقولان له: مَنْ ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ، فيقولان له: وما عملك؟ فيقول: قرأت كتاب الله، فأمنت به، وصدقت، فيتهرعه فيقول: من ربك؟ ما دينك؟ مَنْ نبيك؟ وهي آخر فتنه تعرض على المؤمن، فذلك حين يقول الله عز وجل: ﴿يَبْتَئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِأَلْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [إبراهيم: ٢٧] فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد ﷺ، فينادي مناد في السماء: أن صدق عبيدي، فافرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، فقال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره، قال: ويأتيه وفي رواية: يمثل له رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، أبشر برضوان من الله، وجنت فيها نعيم مقيم، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: وأنت فبشرك الله بخير من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح فوالله ما علمتك إلا كنت سريعاً في إطاعة الله، بطيئاً في معصية الله، فجزاك الله خيراً، ثم يفتح له باب من الجنة، وباب من النار، فيقال: هذا منزلك لو عصيت، الله، أبدلك الله به هذا فإذا رأى ما في الجنة قال: رب عجل قيام الساعة، كيما أرجع إلى أهلي ومالي، فيقال له أسكن، قال:

وإن العبد الكافر وفي رواية: الفاجر إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة غلاظ شداد، سود الوجوه، معهم المسوح من النار، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أينها النفس الخبيثة اخبرني إلى سخط من الله و غضب، قال: فتفرق في جسده فيتزعمها كما يتزعم السفود الكثير الشعب من الصوف المبلول، فتقطع معها العروق والعصب، فيلعنه كل ملك بين السماء والأرض، وكل ملك في السماء، وتغلق أبواب السماء، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله ألا تخرج روحه من قبلهم، فيأخذها، فإذا أخذها، لم يدعها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ریح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان ابن فلان - بأفصح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا، فيستفتح له، فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين، في الأرض السفلى، ثم يقال: أعيدوا عبيدي إلى الأرض فإني وعدتهم أنني خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى، فتطرح روحه من السماء طراحاً حتى تقع في جسده ثم قرأ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ، فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١] فتعاد روحه في جسده، =

الأجساد، وأنَّ الخلقَ كما بدىء يُعاد، ثم بالحساب والميزان^(١) ثم بإعطاء الكتاب إما باليمين وإما بالشمال^(٢)، ثم بالصراط^(٣) ثم بدخول المؤمنين الجنة دار النعيم. ودخول الكافرين جهنم دار العذاب الأليم.

قال: فإنه لسمع خفق نعال أصحابه إذا ولّوا عنه.

ويأتيه ملكان شديدا الانتهاز، فينتهرانه، ويجلسانه، فيقولان له: مَنْ ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان: فما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فلا يهتدي لاسمه، فيقال: محمدا! فيقول: هاه هاه لا أدري سمعت الناس يقولون ذاك! قال: فيقال: لادريت، ولا تلوت، فينادي مناد من السماء أن كذب، فافرشوا له من النار، وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلعه، ويأتيه وفي رواية: ويمثل له رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، متنن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول وأنت فبشرك الله بالشر، من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر! فيقول: أنا عمك الخبيث، فوالله ما علمت إلا كنت بطيئاً عن طاعة الله، سريعاً إلى معصية الله، فجزاك الله شراً، ثم يقينس له أعمى أصم أبكم في يده مرزبة! لو ضرب بها جبل كان تراباً، فيضربه ضربة حتى يصير بها تراباً، ثم يعيده الله كما كان، فيضربه ضربة أخرى، فيصيح صيحة يسمعه كل شيء إلا الثقلين، ثم يفتح له باب من النار، ويمهد من فرش النار، فيقول: رب لا تقم الساعة». (أخرجه أبو داود ٢٨١/٢، والحاكم ٣٧/١ - ٤٠، والإمام أحمد ٢٨٧/٤ و٢٨٨ و٢٩٥ و٢٩٦، والنسائي ٢٨٢/١، ابن ماجه ٤٦٩/١ - ٤٧٠)، صححه الحاكم، ووافقه الذهبي نقلته من كتاب شيخنا الألباني «أحكام الجنائز ١٥٦ - ١٥٩».

(١) بدليل قوله تعالى ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَّا حَاسِبِينَ﴾، [الأنبياء: ٤٧] وقوله تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الْمَفْلُحُونَ. وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾، [الأعراف: ٨، ٩].

(٢) انظر قول الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ. فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِهِ. إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ. فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ. فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قَطُوفُهَا دَانِيَةٌ. كَلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ. وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهِ. وَلَمْ أَدْر مَا حِسَابِيهِ. يَا لَيْتَنِي كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ [الحاقة: ١٨ - ٢٧].

(٣) انظر قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ =

س: كيف اعتقادك بسؤال القبر ثم نعيمه أو عذابه؟

ج: أعتقد أن الميت إذا وضع في قبره تُعادُ رُوحه إلى جسده بقدر ما يفهم الخطاب، ويرد الجواب ثم يأتيه ملكان فيسألانه عن ربه ونبيه. وعن دينه الذي كان عليه، وعن الفرائض التي كان أمره الله تعالى بأدائها: فإن كان الميت من الذين آمنوا وعملوا الصالحات أجاب عن السؤال بتوفيق الله تعالى أحسن جواب، من غير خوفٍ منها ولا اضطراب، فيكشفُ اللهُ عن بصره، ويفتحُ له باباً من أبواب الجنة، فيحظى بالنعيم العظيم، ويقال له: هذا جزاء من كان في دنياه على الصراط المستقيم.

وان كان الميت كافراً أو منافقاً يدهش ولا يدري ما يقول في الجواب، فيعذبُ بانه حينئذ أشدَّ العذاب^(١). ويكشفُ عن بصره، فيُفتحُ له باب من أبواب جهنم. وتتنوع له أنواعُ العذاب والألم ويقولان له هذا جزاء من كفر بمولاه واتبع نفسه وهواه.

س: إذا أكل السبع إنساناً وصار في بطنه، أو وقع في البحر فأكلته الأسماك، فهل يسأل أو يعذب أو ينعم؟

ج: نعم كلُّ من مات يُسأل ثم يعذب أو ينعم، ولا فرق بين من دُفِن في القبر، أو صار في بطن السبع أو في قعر البحر، فالله على كل شيء قدير. وبكل شيءٍ عليمٌ خبير^(٢).

= وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا [النساء: ١٧٥].

(١) بدليل قول الله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ

فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ [غافر: ٤٦]. وانظر الحديث الشريف ص: هامش.

(٢) بدليل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسِِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاَهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ

أَحَدًا [الكهف: ٤٧].

س: إذا كان الميت تعاد إليه روحه، ويسأل ثم يعذب أو يتعم فلاي شيء لا ترى الناس شيئاً من ذلك؟

ج: إن الله يُجِيبُ أبصارهم عن ذلك امتحاناً لهم ليظهر من يؤمن بالغيب، ومن لا يؤمن به من ذوي الشكِّ والرَّيبِ ولو رأى الناس ذلك لآمنوا كلهم، ولم يصِرْ فرقٌ بين الناس ولم يتميِز الخبيث من الطيبِ والرديءِ من الجيد^(١).

س: هل لهذه المسألة مثال يقربها للذهن؟

ج: نعم: مثال ذلك النائم الذي يرى في منامه أشياء يسرُّ بها ويتنعم. أو أشياء يحزُّنُ بها ويتألم، والذي يكونُ قاعداً لجنبه مشاهداً له لا يدري بذلك، ولا يشعر بما هنالك. وكذلك الميت يسأل في قبره ويحبُّ ويتنعم أو يتألم، ولا يدري به أحدٌ من الأحياء ولا يعلم.

س: كيف الاعتقاد بحشر الأجساد. وأن الخلق كما بدىء يعاد؟

ج: هو أن نعتقد أن الناس بعد موتهم جميعاً يُنشِئُهُم الله نشأةً أخرى تشاكل النشأة الأولى، فيقومون من قبورهم ويحشرون إلى محلٍّ واحد يسمَّى الموقف.

س: كيف اعتقادك بالحساب؟

ج: أعتقد أن الله سبحانه وتعالى بعد أن يجمع الناس إلى المحشر يحاسب كل واحد ويقرُّره على ما فعل من خيرٍ أو شرٍ وتشهدُ على الجاحدين جوارحُهُمْ وتظهرُ للكل فضائحهم^(٢). وتقومُ عليهم الحجة، ولا يبقى لهم

(١) انظر قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَتْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [تبارك: ٢].

(٢) انظر قوله تعالى: ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٥]. وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤].

العذْرُ من محجة ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾.

س: كيف اعتقادك بالميزان وإعطاء الكتب؟

ج: أعتقد أن الله سبحانه وتعالى بعد أن يحاسب الناس ويقرّرهم على أفعالهم توزن أعمالهم لينكشف لكل واحد مقدار عمله، فمن رجع خيره على شره أعطي كتابه بيمينه وفاز فوزاً عظيماً. ومن رجع شره على خيره أعطي كتابه بشماله وخسر خسراناً مبيئاً.

س: كيف اعتقادك بالصراط؟

ج: الصراط جسرٌ ممدود على ظهر جهنم ليمر الناس عليه فتثبت عليه أقدام المؤمنين الطائعين ويمرون عليه إلى الجنة فمنهم من يمر عليه كالبرق، ومنهم من يمر عليه كالجواد ومنهم من يكون بطيء السير عليه، وتزل عنه أقدام الكافرين والعصاة من المؤمنين فيقعون في النار، ولا يستغرب أن يبسر السير عليه للسعداء. من يسر الطير في الهواء.

س: هل يشفع أحد ذلك اليوم؟

ج: يشفع الأنبياء^(٢) والأولياء والعلماء العاملين^(٣) والشهداء^(٤).

س: فيمن يشفع من أذن له بالشفاعة؟

ج: يشفعون في بعض المؤمنين العاصين^(٥).

(١) ثبتت الشفاعة بقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وشفاعة الرسول ﷺ بقوله: «لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة» [مسلم في الإيمان ٣٦٠] وقوله ﷺ: «مسألتي شفاعة لأمتي يوم القيامة» [مسند أحمد ٣٢٦/٥].

(٢) انظر قوله ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» [مسند الإمام أحمد ٢١٣/٣] والترمذي في انقيامة ١١ وابن ماجه في الزهد ٣٧].

س: هل يشفع أحد في أحد الكفار؟

ج: لا يستطيع أحد من الأنبياء - فضلاً عن غيرهم - أن يخاطب الله تعالى في أحد من الكفار، لعلمهم بأن كلمة العذاب قد حقت عليهم وأن الله سبحانه لا يأذن بذلك قال جل شأنه ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾^(١) وقال تعالى ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾^(٢).

س: ما الكوثر الذي أعطاه الله سبحانه وتعالى لنبينا محمد عليه الصلاة والسلام وأشار إليه بقوله عز شأنه «إنا أعطيناك الكوثر»^(٣).

ج: الكوثر نهر في الجنة مأوّه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، من شرب من مائه شربة لا يعطش بعدها أبداً^(٤).

س: ما حكم المؤمن الطائع بعد الحساب؟

ج: حكم المؤمن الطائع بعد الحساب، دخول الجنة خالداً أبداً في نعيمها المستطاب.

س: ما حكم الكافر أو المنافق بعد الحساب؟

ج: حكم الكافر أو المنافق بعد الحساب، دخول النار خالداً فيها أبداً لا يفتر عنه الألم والعذاب.

س: ما حكم المؤمن العاصي بعد الحساب؟

ج: حكم المؤمن العاصي بعد الحساب - إن غفر الله له أن يدخل

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٢) سورة طه: الآية: ١٠٩.

(٣) سورة الكوثر: الآية: ١.

(٤) بدليل قوله ﷺ: «حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء مأوّه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من»

الجنة من أول الأمر خالداً فيها أبداً - وإن لم يغفر له أن يعذب في النار مُدَّةً على مقدار ذنبيه، ثم يخرج منها ويدخل الجنة خالداً فيها أبداً.

س: ما الجنة؟

ج: هي دار النعيم المقيم، دارُ فيها ما تشتهيهِ الأنفُسُ وتلد الأعيُن. دارُ فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطرَ على قلبِ بشر.

س: ما جهنم؟

ج: هي دار العذابِ المقيم. دارُ فيها جميع أنواع الآلام التي لا تخطر على الافهام.

= المسك وكيزانه كنجوم السماء، مَنْ شربَ منها فلا يظمأ أبداً (كيزانه: آيته) [البخاري في الحوض. ومسلم في الفضائل باب اثبات حوض نبينا ﷺ].



المبحث السادس في الإيمان بالقضاء والقدر

س: ما الاعتقاد بالقضاء والقدر؟

ج: هو أن نعتقد أن جميع أفعال العباد - سواء كانت اختيارية مثل القيام والقعود والأكل والشرب، أو اضطرارية مثل الوقوع - كائنة بإرادة الله تعالى وتقديره لها في الأزل وعلمه بها قبل وقتها.

س: إذا كان الله تعالى هو الخالق لجميع أفعال العبد أفلا يكون العبد حينئذ مجبوراً في جميع أفعاله، والمجبور لا يستحق الثواب والعقاب؟

ج: كلا لا يكون العبد مجبوراً لأن له إرادة جزئية يُقدِر على صرفها إلى جانب الخير وإلى جانب الشر، له عقل يميز به بينهما. فإذا صرف إرادته إلى الخير ظهر ذلك الخير الذي أراده، وأُثِبَ عليه لظهوره على يده، وتعلّق إرادته الجزئية به، وإن صرفها إلى جانب الشرّ ظهر ذلك الشرّ وعُوقب عليه لظهوره على يده، وتعلّق إرادته الجزئية به.

س: اذكر مثلاً قريباً للذهن يوضح لي أن العبد ليس بمجبور على أفعاله؟

ج: كل إنسان يمكنه أن يعرف بأنه ليس بمجبور على جميع أفعاله، وذلك لتمييزه بين تحرك يده وقت الكتابة، وبين تحرك يده وقت الارتعاش مثلاً فإن تحرك يده حال الكتابة يُنسبُه لنفسه فيقول: كتبتُ باختيارٍ وإرادتي وأما تحرك يده من الارتعاش فلا يُنسبُه لنفسه ولا يقول أنا حرّكت يدي، بل

يقول: إن ذلك وقع بغير اختياري .

س : ماذا يستفاد من هذا المثال؟

ج : يستفاد منه أن كلَّ إنسان يُدركُ بأدنى ملاحظة أن أفعاله قسمان : قسمٌ يكون باختياره وإرادته مثل أكله وشربه وضرِّبه لزيِّدٍ ونحو ذلك، وقسمٌ يكون بغير اختياره مثل وقوعه .

س : أي شيء يترتب على أفعال العبد إذا كانت اختيارية؟

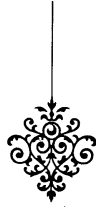
ج : أفعال العبد الاختيارية إذا كانت خيراً يترتبُ عليها الثواب، وإن كانت شراً يترتب عليها العقاب . وأما أفعاله الاضطرارية فلا يترتبُ عليها شيءٌ من ذلك .

س : إذا ضرب إنسان غيره ظلماً وعدواناً أو فعل نحو ذلك من أنواع الشر والمعاصي، ثم اعتذر بكون ذلك مقدرأً عليه، فهل يقبل منه ذلك الاعتذار؟

ج : إنه لا يقبل من العبد الاعتذار بالقدر لا عند الله سبحانه وتعالى ولا عند الخلق، لوجود الارادة الجزئية له والقدرة والاختيار والعقل .

س : اذكر لي خلاصة هذا المبحث؟

ج : إنه يجب على كل إنسان مكلف أن يعتقده ويجزم بأن جميع أفعاله وأقواله وجميع حركاته . سواء كانت خيراً أو شراً . هي واقعة بإرادة الله وتقديره وعلمه، لكن الخير برضاه والشر ليس برضاه، وأن للعبد إرادة جزئية في أفعاله الاختيارية . وأنه يثابُّ على الخير ويُعاقب على الشر وأنه ليس له عذرٌ في فعله الشرِّ، وأن الله ليس بظلامٍ للعبيد .



الخاتمة في مسائل مهمة «تتبع ما سلف، نقلت عن السلف»

س: هل يجوز التكلم في ذاته تعالى بالعقل؟

ج: لا يجوز التكلم في ذاته تعالى بالعقل، لأن العقل قاصرٌ عن إدراك ذات الخالق سبحانه وتعالى، فكل ما خطر ببالك فإله بخلاف ذلك.

س: إذا كان العقل لا يدرك ذاته تعالى فكيف الوصول إلى معرفته تعالى مع أن المعرفة واجبة على كل أحد؟

ج: إن معرفته تعالى تحصلُ بمعرفة صفاته من الوجود والقِدَم والبقاء ومخالفته للحوادث والقيام بنفسه والوحدانية والحياة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام.

س: بأي شيء عرفنا الله تعالى مع أننا ما رأيناه بأبصارنا.

ج: عرفنا وجودَ الله تعالى وباقِي صفاته بظهور آثار قُدْرَتِهِ في هذه المخلوقات الحادثة المتَّقِّية البديعة المحيرة للعقول: كالسموات وما اشتملت عليه من الشمس والقمر والنجوم والأرض وما اشتملت عليه من المعادن والأشجار وغير ذلك من أنواع الحيوانات التي منها الإنسان المخلوق في أحسن تقويم، لموصوفٍ بأنواع الكمال والفضل، الممتاز بالعقل القويم. فكما أن من شاهد بناءَ عرف أن له بانياً. ومن شاهد كتاباً عرف أن له كاتباً. وإن لم يره ولم يسمع خبره، فكذلك من رأى هذا العالم المتقن البديع الباهر عرف أن له موجداً قديماً عليماً مريداً قديراً حكيماً.

س: هل لهذه المسألة نظير في المخلوقات، أي هل يوجد في المخلوقات شيء نتحقق وجوده مع أننا لا نراه؟

ج: نعم وذلك كالروح: فإننا نحكم بوجودها، وإن لم نحظ بشهودها. حيث نرى ما لها من الآثار، مع أننا لا نراها بالأبصار ولا نُدرك حقيقتها بالأفكار وكذلك الله سبحانه وتعالى فإنه وإن لم نره بأبصارنا ولم ندرك حقيقة ذاته بأفكارنا، نَجْزُمُ بوجودِ ذاته الموصوفةِ بصفاتِ الكمالِ نظراً لما نرى من آثارِ صنعهِ البديعِ سبحانه وتعالى الشاهدِ بلسانِ الحالِ والمقالِ.

س: هل يجوز الخوض في حقيقة الروح والبحث عن ماهيتها؟

ج: لا يجوز ذلك لأن العقل قاصرٌ عن إدراك حَقِيقَتِها، فالبحثُ عنها إضاعةٌ وقتٍ، وهذا أكبر دليل على قصور عقل الإنسان، فإنه لم يُدرك حقيقة روحه مع كونها مخلوقة وغير خارجة عنه، ليقطع الأمل عن إدراك حقيقة خالقه الذي ليس له شبيهة^(١).

س: هل تمكن رؤية الله سبحانه وتعالى بالبصر؟

ج: رؤية الله تعالى بالبصر ممكنة عقلاً، وواقعة في الجنة للمؤمنين نقلاً. فإن الله تعالى موجود وكلُّ موجود يمكنُ رؤيته قال الله تعالى: ﴿وَجُوهُ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾^(٢) فيرونها بالأبصار بغير كيف يوم القيامة، ويُحجَّبُ عنه الكافرون زيادة لهم في الحسرة والندامة.

س: هل إصابة العين حق؟

ج: نعم، وذلك لأن بعض النفوس من شأنها وخواصها أنها إذا

(١) دليبه قول الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ

الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

(٢) سورة القيامة، الآية ٢٢، ٢٣.

نظرت إلى شيء نظر استحسان وتعجب يصابُ المنظور إليه ويلحقه الضرر^(١). لكن هذه النفوس قليلة جداً فلا ينبغي للإنسان أن يشغل أفكاره بذلك وينسب أكثر ما يصابُ به إلى إصابة العين أو إلى السحر، كما يفعله كثير من النساء لأن ذلك طيشٌ وخفة.

س: كيف تؤثر العين مع كونها أطفأ أجزاء الإنسان وعدم اتصالها بالمنظور إليه وعدم خروج شيء منها يتصل به؟

ج: لا مانع أن يكون للشيء اللطيف تأثير قوي، ولا يشترط في التأثير الاتصال. فإننا نرى بعض الناس من أصحاب الهيئة والاعتدال إذا نظرَ إلى أحد نظرَ مُغضبٍ ربما يعتري المنظور إليه الدهشة والارتباك، وقد يُفسي به الأمر إلى الهلاك مع أنه لم يتسلط عليه في ظاهر الحس، ولا حصل بين المؤثر والمتأثر اتصال ومس، والمغناطيس يجذب الحديد مع عدم اتصاله به، وعدم خروج شيء منه يُوجب صدور التأثير عنه بل الأمور اللطيفة، أعظم آثاراً من الأمور الكثيفة، فإن الأمور الجسيمة إنما تصدر من الإرادة والنية، وهما من الأمور المعنوية.

فلا يُستغرب حينئذ أن تؤثر العين في المنظور إليه مع لطافتها. وعدم اتصالها به، وعدم خروج شيء منها.

س: من أفضل الأمم جميعاً بعد الأنبياء عليهم السلام؟

ج: أفضل الأمم جميعاً بعد الأنبياء هي الأمة المحمدية، وأفضلها الصحابة الكرام، وهم الذين اجتمعوا بنينا عليه الصلاة والسلام، وأمنوا

(١) دليبه قوله الله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥].

به ، واتبعوا النورَ الذي أنزلَ معه^(١) ، وأفضلهم الخلفاء الأربعة^(٢) .

س : ما الإسراء وما المعراج ؟

ج : الإسراء هو سير النبي عليه الصلاة والسلام من مسجد مكة إلى المسجد الأقصى في القدس في ليلة . وهذا ثابت بنص القرآن الكريم^(٣) ، والمعراج هو صعوده تلك الليلة من المسجد الأقصى إلى السموات ، واجتماعه بالملأ الأعلى تشريفاً لهم به وإكراماً له ، وقد ثبت ذلك بالأحاديث الصحيحة ، وهذا أمرٌ ممكنٌ أخبر به الصادقُ ، فيجب حملُه على ظاهره ، ولا يُستغَرَّبُ مَن سَيرَ الطير في الهواء ، وجعل الكواكب تقطع بحركتها في دقيقة مسافةً لا يقطعها الناسُ في مائة عام ، أن يرفعَ إلى السماء في ساعةٍ حبيبه الذي اصطفاه على الأنام ، فهو على كل شيء قدير ، وبكل شيء خبير .

س : هل ينفع الدعاء الداعي أو المدعو له ، وهل يصل ثواب صدقة الحي إلى الميت إذا هدى له ذلك ؟

ج : إن الصدقة أمرٌ مرغوبٌ فيه والدعاء والتضرُّع إلى الله تعالى مطلوبٌ . وكلاهما نافعٌ عنده تعالى للحيِّ والميتِ .

(١) انظر قوله تعالى : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَتَذَكَّرُونَ فَضَلَّاهُمْ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَتْرُ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح : ٢٩] .

(٢) أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم .

(٣) دليله قول الله تعالى : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِمَبْدِيهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء : ١] .

س: هل نعيم الجنة روحاني أم جسماني، وكذلك عذاب النار كيف هو، وهل هما دائماً أم يتقطعان؟

ج: إن الجنة تشتمل على النعيمين: الروحاني والجسماني: فالروحاني لتلذذ الروح، كالتسييح والعبادة ورؤية الله تعالى وإعلامه برضاه عنهم. والجسماني لتلذذ الجسم، كالأكل والشرب والنكاح.

والنار تشتمل على العذاب الجسماني والعذاب الروحاني، والنعيم والعذاب فيها دائماً لا ينقطع أبداً وأهلوهما خالدون فيها، وهما موجودتان الآن.

س: هل يبلغ الولي درجة النبي، وهل يصل إلى حالة تسقط عنه التكاليف عندها؟

ج: لا يبلغ الولي درجة نبي من الأنبياء أصلاً. ولا يصل العبد ما دام عاقلاً بالغاً إلى حيث يسقط عنه الأمر والنهي ويباح له ما شاء: ومن زعم ذلك كفر وكذلك يكفر من زعم أن للشرعة باطناً يخالف ظاهرها هو المراد بالحقيقة، فأول النصوص القطعية وحملها على غير ظواهرها. كمن زعم أن المراد بالملائكة القوى العقلية، وبالشياطين القوى الوهمية.

س: ما المجتهد ومن المجتهدون الذين استقر الرأي على أتباعهم؟

ج: المجتهد هو المحيط بمعظم قواعد الشريعة ونصوصها، الممارس لها بحيث اكتسب قوة يفهم بها مقصود الشارع، والمجتهدون كثيرون والمجتهدون الذين استقر الرأي على اتباعهم والأخذ بقولهم أربعة، وهم أبو حنيفة النعمان بن ثابت، ومالك بن أنس، ومحمد بن إدريس الشافعي، وأحمد بن حنبل رضي الله عنهم. وإنما اختار العلماء تقليد هؤلاء الأربعة دون غيرهم ممن بلغ درجة الاجتهاد لكثرة ما استنبطوه من المسائل بسبب تفرغهم لذلك، حتى ندرت القضايا التي لم يُبينوا حكمها، ولُنقل مذهبهم إلينا بطريق

التواتر: فينبغي تقليد واحدٍ معينٍ منهم إلا للضرورة. وإلا فربما أدى إلى تلفيق^(١)، يخرج عن سواء الطريق.

س: لم اختلف المجتهدون في بعض المسائل؟

ج: إن المُجتهدين لم يختلفوا في أصول الدين ولا في أمهات فروعه أصلاً، لثبوتها بالدلالة القطعية. وإنما اختلفوا في بعض المسائل الفرعية لعدم ثبوت نصٍ قطعيٍّ فيها؛ إذ الجزئيات لا يتيسرُ حصرُها والاختلاف فيها سهل فكلُّ منهم بذل وسعه في استخراج حكمها من الكتاب والسنة بحسب ما ظهر له فمن أصاب منهم فله أجران، ومن أخطأ منهم فله أجرٌ لسعيه في إظهار الصواب بقدر وسعه. واختلاف الأئمة رحمةٌ للأمة لأنه اختلاف في أمور فرعية والاختلاف فيها يوجب اليسرَ على الناس، وعدم وقوعهم في الحرج والبأس فإذا اضطرَّ الإنسان عمِلَ بما هو الأيسرُ، وإلا فيعمل بما هو الأحوط أو الأحرى والأظهر.

س: ما أشرط الساعة؟

ج: أشرط الساعة (العلامات الدالة على قُرب قيامها جداً) أمورٌ منها:

الدجال^(١): وهو رجلٌ أعورٌ يخرج في خُفّةٍ من الدين وإدبار من العلم ويَدْعِي الألوهية ويُظهِرُ بعضَ العجائب ويتبعه من كان ضعيفَ الإيمان واليقين.

(١) دليله قول رسول الله ﷺ: «إنَّ الدَّجَالَ يَخْرُجُ، وإن معه ماءً وناراً، فاما الذي يراه الناسُ ماءً فنارٌ تحرق، وأما الذي يراه الناسُ ناراً فماءٌ باردٌ عذب، فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يراه ناراً، فإنه ماءٌ عذبٌ طيبٌ» [رواه البخاري ومسلم] وزاد مسلم: «وإن الدجال ممسوح العين، عليها ظفرةٌ غليظة، مكتوب بين عينيه كافر، ويقرؤه كل مؤمن، كاتبٌ وغير كاتب».

ومنها ظهورُ دابةٍ من الأرض^(١) تَعَلَّمُ الناسَ في وجوههم، فمن كان مؤمناً جَعَلَتْ له علامةٌ يُعَرِّفُ بها أنه مؤمنٌ. ومن كان كافراً جَعَلَتْ له علامةٌ يُعَرِّفُ بها أنه كافرٌ. وتكَلَّمُ الناسَ بأحوالهم. ومنها طلوعُ الشمس من المغرب^(٢) يوماً من الأيام وينسُدُّ حينئذُ بابُ التوبة ولا تقبلُ من أحد.

ومنها خروجُ يأجوجَ ومأجوجَ^(٣) وهم جيلٌ من الناس أكثروا الفسادَ في الأرض في الزَّمنِ الغابر ولما وصل إلى ناحيتهم ذو القرنين شكيا منهم جيرانهم إليه. فرثي لحالهم وكان الموصلُ بينهم مضيقٌ بين جبلين فَبَنَى فيه سدّاً عالياً جداً من حديد وأفرغ عليه الرصاصَ المذابَ فصار سدّاً مُحْكماً أَمْلَسَ لا يتيسرُ نَقْبُهُ ولا الصُّعوذُ عليه فإذا حان أوان خروجهم انفتح السدُّ^(٤) بسبب من الأسباب فينتشرون في الأرض، ويكثر فسادهم في طولها والعَرْض، فيُلجَأُ إلى مولاهم في رَفَعِ شَرِّهم وضررهم فيهلكهم ويقضي بمحو أثرهم.

ومنها نزول عيسى عليه السلام^(٥) وذلك حينما تكثرت في المسلمين الفتن وتوالى عليهم المحنُ فيتولى أمورَ هذه الأمة، ويكشف عنهم كلَّ مَلَمَّةٍ. ويقتل الدجال، ويخلصُ الناسَ من الأهواء والأهوال^(٦).

(١) دليله قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢].

(٢) دليله قول رسول الله ﷺ: «ولا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت فرأها الناس آمنوا أجمعون، فذاك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً» [الأنعام: ١٥٨].

(٣) دليله قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُجِّعَتْ بِأَجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦].

(٤) انظر سورة الكهف الآيات: [٨٣ - ٩٨].

(٥) دليله قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩].

(٦) وقد فات المؤلف رحمه الله تعالى خمس أماراتٍ من علامات الساعة الكبرى وهي:

وافق الفراغ من ضبطه وتحقيقه وشرحه والتقديم له أذان المغرب من يوم الأحد الواقع في ١٧ من صفر ١٤٠٥ هجري الموافق للحادي عشر من تشرين الثاني ١٩٨٤ للميلاد.

وقد أمليته على الشاب الفاضل جهاد شيخو فجزاه الله خيراً ووفقه لما يحبه ويرضاه .

الشيخ عبد العزيز عز الدين السيران

= (٢) خسف بالمشرق .

(٣) خسف بجزيرة العرب .

(٤) خسف بالمغرب .

(٥) نازُ تخرج من اليمن .

ولعله اكتفى بالثابت بالخبر المتواتر الذي يورث القطع واليقين، والباقي إنما نقل إلينا عن طريق الأحاد، بطريق صحيحة متفق على صحتها، أضف إلى ذلك أمارات صغرى لا مجال لذكرها في هذه الصفحات، ولا يخفى أننا أهل السنة والجماعة نؤمن بظهور المهدي - عليه السلام وأنه من ولد فاطمة رضي الله عنها، وسيصلي بالمسيح عليه السلام إماماً في بيت المقدس، واسمه واسم أبيه يواطىء اسم محمد ﷺ واسم أبيه .

كما فات المؤلف أن يتحدث عن الجن ولو بإشارة بسيطة فدلليل وجودهم آيات كثيرة منها قول الله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [الأحقاف: ٢٩] وقوله تعالى: ﴿خلق الإنسان من صلصال كالفخار وخلق الجن من نار﴾ [الرحمن: ١٤] .

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً والحمد لله رب العالمين .

الفهرس

| | |
|---|---------------------------|
| ٥ | الإهداء |
| ٧ | مقدمة |
| ١١ | مؤلف الكتاب |
| ١١ | اسمه ونسبه ومولده |
| ١١ | رحلاته |
| ١٢ | مؤلفاته |
| ١٤ | نشأته العلمية |
| ١٤ | شيوخه |
| ١٤ | وفاته |
| ١٥ | ما ألف عنه |
| ١٥ | مراجع ترجمته |
| دراسة مقارنة السلف والخلف والفرق بينهما | |
| ١٩ | المفهوم الأول |
| ٢٢ | المفهوم الثاني |
| ٢٧ | المفهوم الثالث |
| ٣٣ | مسألة الصفات |
| ٣٧ | المفهوم الرابع |
| ٣٧ | المجسمة والمشبهة |
| ٣٧ | المعظلة والجهمية |
| ٣٨ | مذهب السلف في آيات الصفات |

| | | |
|----|-------|---|
| ٤٠ | | مذهب الخلف في آيات الصفات |
| ٤٣ | | خلاصة بالغة الأهمية |
| ٤٦ | | مفاهيم إضافية لا بد منها |
| ٤٩ | | مقدمة الشيخ طاهر الجزائري |
| ٥١ | | المبحث الأول: في الإيمان بالله |
| ٦٠ | | المبحث الثاني: في الإيمان بالملائكة |
| ٦٣ | | المبحث الثالث: في الإيمان بكتبه |
| ٦٩ | | المبحث الرابع: في الإيمان بالرسول |
| ٨٢ | | المبحث الخامس: في الإيمان باليوم الآخر |
| ٩١ | | المبحث !! سادس: في الإيمان بالقضاء والقدر |
| ٩٣ | | الخاتمة في مسائل مهمة نقلت عن السلف |